الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

فن الخطابة عند عبد الحميد ابن باديس الخطب الدينية والسياسية –أنموذجا – خصائصها وسماتها الفنية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية

تخصص: أدب جزائري

مقدمة من قبل:

حليمة عقون

تاريخ المناقشة: 2019/07/07

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
سهام بودروعة	أستاذة محاضرة – ب–	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
ابراهيم كربوش	أستاذ محاضر – ب–	مشرفا	جامعة 8 ماي 1945
نصر الدين شيحة	أستاذ مساعد – أ–	ممتحنًا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية: 2018–2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

قبل كل شيء أحمد لله وأشكره على توفيقه لي لإنجاز هذا العمل المتواضع حمدًا كثيرا طيبا مباركا فيه.

وأتوجه بعد ذلك بجالص الدعاء وأصدق عبارات الشكر والثناء إلى أستاذي المشرف "إبراهيم كربوش" الذي كان له الفضل الأول في إرشادي للبحث في هذا الموضوع ولكرمه وثانيا بنصائحه القيمة فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري المسبق إلى السادة أعضاء اللجنة المناقشة.

وشكر خاص لكل من أسدى إلي بنصيحة أو معرفة أو مشورة أو توجيه أو قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

والله ولي التوفيق.

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا أما بعد...

أتقدم بعملي هذا المتواضع إلى الذي علمني الغيرة على دين الله، والعمل به،

إلى أحب ما عندي "النبي صل الله عليه وسلم" وإلى تاج رأسي ومصدر قوتي : والدي الغالي حفظه الله.

إلى التي تفيض حباً وعطفاً وحنان والتي ضمتني بحنانها ودثرتني بحبها...

إلى التي تسهر على راحتي وغرست في نفسي حب العلم والاجتهاد : والدتي الحنون حفظاها الله.

إلى من تقاسموا معي الحياة (عبير، علاء الدين، أشرف) وإلى من أنجبتهم الأيام لي ليعلموني أن الإنسان يوزن بأفعاله لا بماله وأقواله اخوتي وصديقاتي.

إلى كل زملائي وزميلاتي في الدراسة.

إلى كل من مر على زماني بابتسامة صادقة وكلمة طيبة فأقول لكم لا القلب ينسى ولا الأيام تنسينا أحبة سكنوا يوماً مقالينا، في كل زاوية لكم ذكرى معطرة قد أنبتت منكم وردًا وزهورًا.

إلى كل من في قلبه : لا إله إلا الله محمد رسول الله

حليمة عقون.

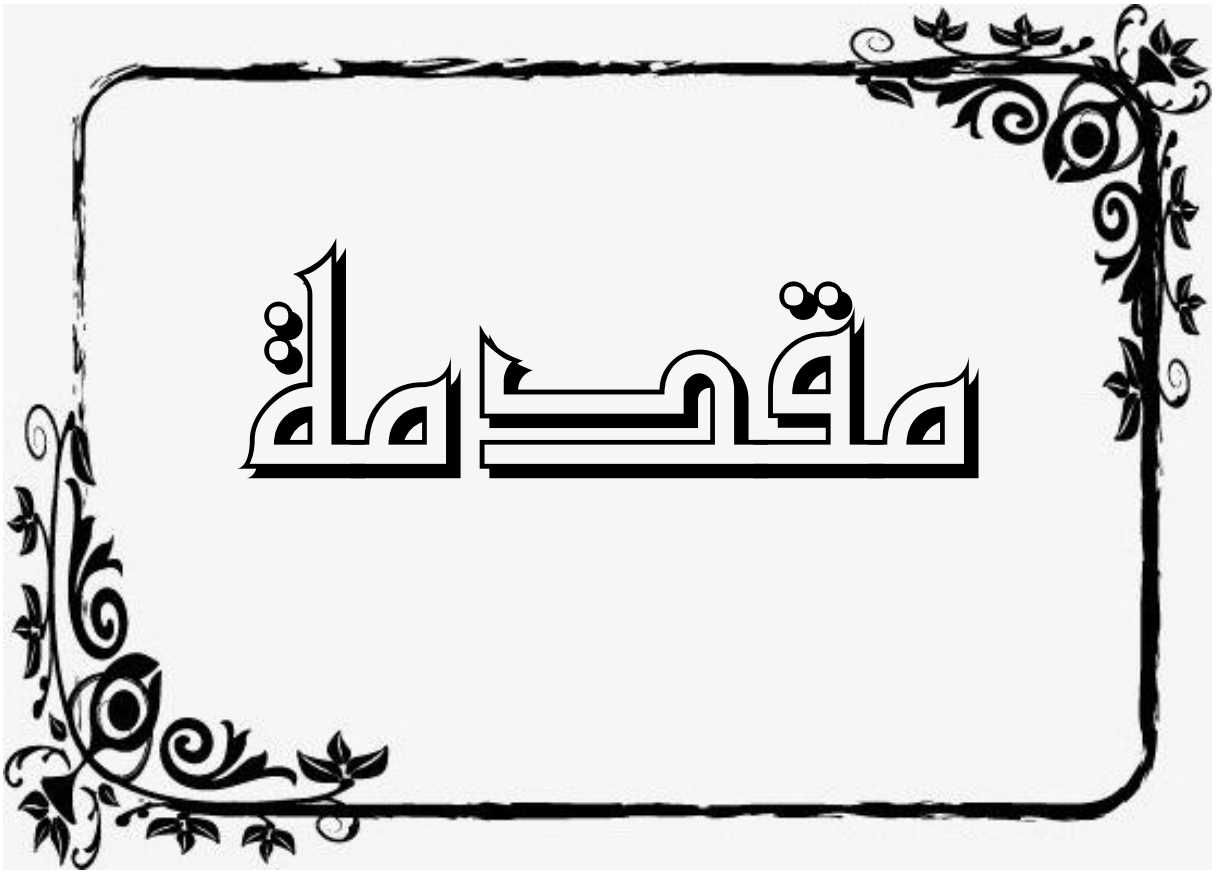
مقدمة

مقـــــــدمة :

تعد الخطابة ضربًا من ضروب النثر في الأدب العربي، وعمادها اللسان والارتجال فهي من الفنون التي عرفت منذ العصر الجاهلي وهي من الوسائل البيانية الضرورية للتعبير عما يتعلق ببيئتهم وحياتهم العامة، وقد شهدت عصور الأدب العربي الحديث حضورًا لهذا الفن الراقي جعله في مقدمة الفنون النثرية ذات الصبغة الشفاهية فالخطابة فن من فنون التواصل الاجتماعي الإنساني فقد كان ولا يزال مجال بحث ودراسة من لدن عدد كبير من المهتمين قديما وحديثا خاصة، ونشير بالقول إلى الخطابة الجزائرية الحديثة قد اتسعت موضوعاتها في هذا العصر (الحديث) وتطورت شكلا ومضمونًا، وانعكس ذلك بالدرجة الأولى على اللغة والأدب، كما عرفت الخطابة الجزائرية في العصر الحديث من الخطباء الذين برزوا في هذا الفن وأبدعوا فيه وفي مقدمتهم "**عبد الحميد ابن باديس**" فقد كان خطيبًا فصيحًا بليغا، ذا ثقافة دينية وأدبية كبيرة ذات صبغة دينية، وهذا ليس ببعيد عنه كونه رجل إصلاح متشبع بالثقافة الإسلامية.

وقد كانت الخطابة الجزائرية في العصر الحديث بمثابة وسيلة تبليغية تكشف واقعا دينيا واجتماعيا وسياسيا.

وهذا ما وجدناه في خطب ابن باديس الدينية والسياسية، فقد اتخذ الخطابة أداة لتوعية وإرشاد الناس لدينهم، وكذا ضرورة من ضرورات المجتمع تخدم الدعوة الاصلاحية وتنادي الناس للانضمام إليها، كما أنها تعد أكثر الأنواع الأدبية التزاما بقضايا الأمة وترتبط ارتباطا وثيقا بها.

وكل هذه الأسباب وغيرها شجعتني على خوض غمار هذا البحث في موضوع فن الخطابة، وأيضا الأمر الذي دفعني إلى تبني هذا البحث هو ميلي إلى هذا الفن، فاخترت بذلك هذا اللون النثري ليكون موضوعا للدراسة.

وعلى هذا الأساس قمت بدراسة مضامين خطب ابن باديس وسماتها الفنية والموضوعية والخوض بذلك غمار هذا البحث الموسوم "**فن الخطابة عند ابن باديس الخطب (الدينية والسياسية)** –أنموذجا– خصائصها وسماتها الفنية "لتكون موضوعا للدراسة والتحليل بالإجابة على هذه الإشكالية المطروحة هي :

ماهي الخصائص الفنية لخطب عبد الحميد ابن باديس الدينية والسياسية، وما هي الأسباب والدواعي التي جعلته يهتم بهاذين النوعين دون غيرهما؟

وللإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت أن أقسم بحثي إلى مدخل وفصلين : فصل نظري وتطبيقي.

- أما المدخل فقد تضمن تمهيد للموضوع، مفهوم الخطابة (لغة واصطلاحا)، نشأة الخطابة وتطورها عبر العصور، ابن باديس (مولده، تعليمه، آثاره، وفاته).

أما الفصل النظري فقسمته إلى مبحثين، المبحث الأول تناولت فيه :

- الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- الخطابة عند ابن باديس.
- أنواع، الخطب (دينية، علمية، سياسية، قضائية، عسكرية).

أما المبحث الثاني تناولت فيه :

- أركان الخطبة (مقدمة، الخطبة، المخاطب).
- عناصر الخطبة (مقدمة، عرض، خاتمة).
- أهمية الخطابة والغاية منها – خصائص الخطابة.

وأيضا الفصل التطبيقي قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول أردفته بتمهيد، خصائص خطب ابن باديس الدينية والسياسية من حيث المضمون (الواقعية، الالتزام، النزعة الدينية).

أما المبحث الثاني تناولت فيه خصائص خطب ابن باديس من الناحية الفنية وحاولت من خلالها تبيان المستوى الفني لخطب ابن باديس من خلال دراسة اللغة والأسلوب والصور البيانية والمحسنات البديعية.

وفي الأخير كانت الخاتمة تسجيل لأهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

واعتمدت في دراستي على المنهج التحليلي الوصفي.

أما بالنسبة لأهم المصادر المعتمدة في هذا البحث نذكر منها :

- آثار ابن باديس وآثار الإبراهيمي، البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي، أساس البلاغة الزمخشري.

وإذا كان للبحث دوافع وأسباب فمن الطبيعي أن تكون هناك صعوبات وتكمن هذه الصعوبات في قلة المراجع والدراسات، وضيق الوقت وتشتيت الجهد بين الدراسة والبحث.

وقبل الختام أتقدم بالشكر الجزيل من قريب أو بعيد لكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث المتواضع أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف : "**إبراهيم كربوش**" لما أبداه لي من ملاحظات ونصائح قيمة أنارت لي طريق البحث، كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة.

وختاما فلست أزعم أن ما قدمته في البحث هو كل ما يستحقه هذا الموضوع، لكن ذلك هو جهدي المقل بذلته في سبيل العلم والمعرفة، قصد إدلاء دلوي في هذا الباب فإن

وفقت فمن الله وإن أخطأت فجل من لا يخطأ، والحمد لله من قبل ومن بعد وعليه توكلت وإليه أنيب.

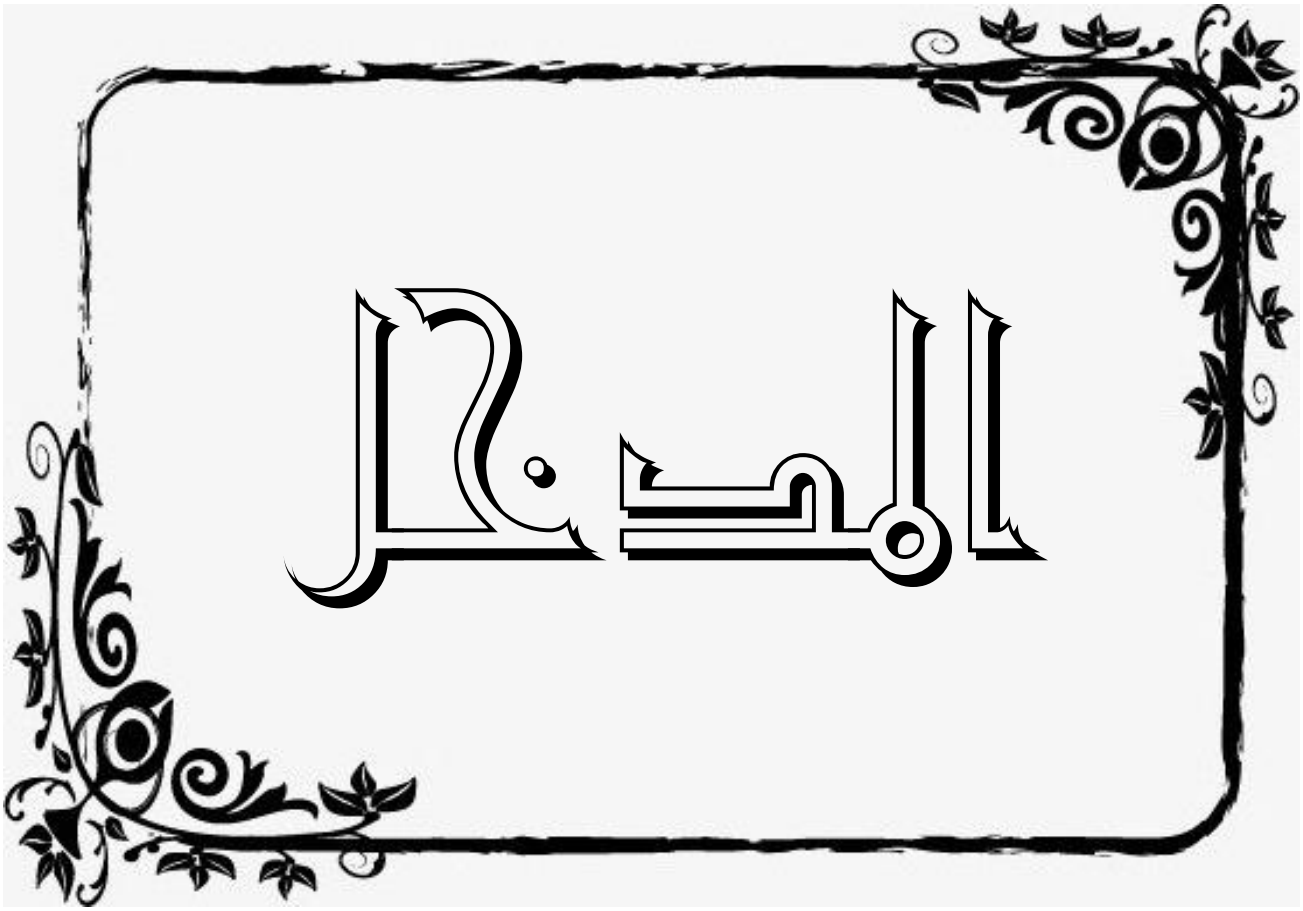
المدخل

تمهيد:

الخطابة فن أدبي قديم لا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، فمنذ أن اجتمع الناس في مكانٍ واحد وتفاهموا بلسان واحد عرفوا الخطابة لأن الرؤى والأفكار تختلف فيما بينهم، ومتى حاول الفصيح منهم أن يستميل من يخالفه فهو خطيب، ولا تزال الخطابة إلى الآن سلاحًا مرهفًا لأمم تتباهى في المجالس العلمية وعلى المنابر وفي المعارض وغيرها، وقد استعملها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نشر رسالاتهم وتبليغ دعوتهم فأذابوا بها الجليد المتحجر في النفوس، ونفذوا بها إلى قلوب الناس فاستعطفوهم، وأقنعوا وأثروا فيها.

1- مفهوم الخطابة:

كان لموضوع الخطابة اهتمام كبير منذ القدم عند العلماء الغربيين والعرب، حيث حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة، لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة.[1]

أما علماء العرب فنجد ابن منظور يحددها لغة كما يلي:

«**الخُطبَة** مَصْدَر **الخطيب**، و**خَطَبَ الخَاطِبُ** على المِنْبَرِ، و**اختَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً** واسم الكلام: **الخُطْبَة**. قال أبو منصور: والذي قال الليث، إن الخطبة مَصْدَرُ الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر الجوهري: **خَطَبْتُ** على المنبر **خُطْبَةً** بالضم، و**خَطَبْتُ** المرأة **خِطْبَةً** بالكسر و**اخْتَطَبَ** فيهما، قال ثعلب: خطب على القوم خطبة فجعلها مصدرًا، وذهب أبو اسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع. وجمع الخطيب **خطباء**، وخَطُبَ بالضم خَطَابَةً بالفتح صار خطيباً».[2]

---

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، افريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002م، ص 13.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج 3، مادة خطب، باب الخاء، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2003م، ص 138.

- **خطاب:** 1. مصدر خاطب، 2. ما يكلم به الانسان صاحبه، 3. رسالة.
- **خطبة:** ج خطب، 1) مصدر خطب، 2) ما يخطب به من الكلام. [1]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام ومن المجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فطلبني". [2]

- **خطب:** خطابة، صار خطيبا، خاطبه مخاطبة، وخطابا، كلمه وحادثه ووجه إليه كلاما ويقال خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه. اختطب المرأة: خطبها، وفلانا دعاه إلى تزوج امرأة. تخاطبا: تكالما وتحادثا.
- **الخطاب:** وصف للمبالغة لكثير الخطبة، الخطيب الحسن الخطبة ومن يقوم بالخطابة في المسجد وغيره.[3]

- **خطبة، خطابة وخطبة** على المنبر وعلى القوم: ألقى خطبةً، خطب خطابةً صار خطيباً، الخِطبة والخطيب والخاطب: الرجل الذي يخطب المرأة، وهي خِطبةٌ وخِطبته وخُطبته وخطيباه وخطيبته. [4]
- **الخطاب:** مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر خطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال: خِطْبٌ، ومن أراده قال: نكحٌ، وجمع الخطيب خطباء

[1]– جبران مسعود، رائد الطلاب المصور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2، 2008م، ص 366–367.

[2]– الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د ط، 2000م، ص 167–168.

[3]– ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون، الوسيط، دار الدعوة، د ط، د ت، 287/1.

[4]– بسام عبد الله، قاموس نوبل، دار الكتاب الحديث، د ط، 2011م، ص 300.

وجمع الخاطب خُطّاب، والخِطْبُ: المرأة، وهو الزوج، والمخطبة الخطبة إن شئت في النكاح، وإن شئت في الموعظة. [1]

- **خاطبه:** كالمه وحادثه، **الخطاب:** الكلام والرسالة، **الخطب:** الحال والشأن، **الخطبة:** من الكلام المنثور ومن الكتاب صدره. [2]

اصطلاحا:

هناك جملة من التعاريف لهذا الفن الأدبي الذي حضي باهتمام الفلاسفة والأدباء فوضعوا له تعاريف كثيرة منها:

عرفها **الجرجاني** بقوله: "هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ". [3]

عرفها **أرسطو:** " قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور المفردة".[4]

الخطابة في **اصطلاح الحكماء:** " مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد، والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك".[5]

عرفها **أبو زهرة** الذي عدّها عِلْمًا فقال: "إنها مجموع القوانين التي تُعَرِّفْ الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يعنى بدراسة التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب

---

[1]– الفراهيدي، العين، باء الخاء ، تحق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، 419/1.

[2]– ابراهيم فلاتي، الهدى (قاموس مدرسي)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة حديثة، 2010م، ص 161–162.

[3]– الجرجاني معجم التعريفات، باب الخاء، تحق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د ط، دت، ص 87.

[4]– ارسطو طاليس، الخطابة، تحق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1985م، ص 104.

[5]– على محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د ط، د ت، ص13.

أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها وهو بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة، ليربي ملكاته وينمي استعداداته، ويطلب لما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الدرب، ويسلك الطريق".[1]

من خلال هاته التعاريف الاصطلاحية أخلص إلى أن الخطابة هي فن أدبي يلقى مشافهة، هدفه إقناع المتلقي من خلال وسائل الإقناع والتأثير فيه واستمالته لإيصال الفكرة المبتغاة، وكذا لا بد أن يكون الخطيب ذو صفات ومميزات واستعدادات مؤهلة لهذا الفن.

2- نشأة الخطابة العربية وتطورها:

إذا نظرنا إلى الخطابة وجدناها فطرية في الانسان وأنها موجودة بوجود الانسان حيث كان الخطاب هو وسيلة التخاطب والاتصال لبني البشر، وقديمة قدم الحضارات المتعددة فكان تأثير البلاغة لا يخص أمة بعينها ولا جيلا بعينه، وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن عظيم نعمته على الانسان في تقويم اللسان وتعليمه البيان. [2]

فقال جل شأنه: { الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) }. [3]

وكانت الخطابة من وظيفة الأنبياء والمرسلين ووظيفة العلماء الأجلاء والملوك والرؤساء.

2-1- الخطابة في العصر الجاهلي:

أما الخطابة في الأمة العربية في عصرها الجاهلي فكانت مزدهرة ومألوفة في حياتها حيث أن حياة العرب تستدعي وجود هذا الفن حيث الخصومات والحروب ومحاولات اصلاح

---

[1]- محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط 1، 1934م، ص1.

[2]- عبد الرحمن أرشيد، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، جامعة العلوم الاسلامية بماليزيا، 2006م، ص 38.

[3]- سورة الرحمن، الآية 1-4.

ذات البين ثم يأتي في المقام الأول الخطابة من أجل التفاخر بالأحساب والأنساب، ثم خطب الحث على القتال أو على الأخذ بالثأر وخطب الأملاك والإرشاد لنبذ ما عليه القوم من جهالة وضلالة وما يتعلقون به من عادات ونزاعات غير حميدة ثم خطب المحافل والوفود ثم الوصايا التي توجه من الرجل إلى أهل بيته وعشيرته وذلك عند موته، وكان الجاهليون بحاجة إليها حيث كانوا يعيشون قبائل متفرقة كل قبيلة تخضع لحاكم قوي شديد الشكيمة وكان من طبيعتهم الثورة من أجل توافه الأمور، وفي الوقت نفسه هو جواد كريم يحب مكارم الأخلاق والتفاخر بها ثم التنازع المستمر يستدعي خطيبا بليغا يثير الحماسة والنخوة فيهم وكانت جل موضوعاتهم تقوم على إثارة الحرب ثم الصلح بين المتنازعين ثم التعصب لكل قبيلة، وإذا علمت أن للعرب دار ندوة يجتمعون فيها ويشاورون ويقررون ما يرونه صالحا ويتبارى فيها المجيد للقول، وكانت دار الندوة منابر عامة تروج فيها بضاعة الكلام البليغ ومعيشة العرب في الصحراء أعطتهم صفاء الذهن فكان ذلك من أعظم دواعي الخطابة، زد على ذلك وجود الحرية والحماس والبلاغة تثيرها خواطرهم.

وكانت الخطابة في العصر الجاهلي هي من وحي تجاربهم ومشاهداتهم ولا تخلو من التمثيل وإيراد الحكم، ليؤثر الخطيب في مستمعيه.[1]

وقد كانت قوة إحساس العربي وشدة حميته واندفاعه ومعيشته في الصحراء صافية السماء من أعظم الدواعي للخطابة والاتجاه إليها، فإن قوة العاطفة تدفع ذا البيان إلى تبيانها، حياة العربي في الصحراء كانت حياة فروسية وقوة شكيمة دفعته إلى البيان دفعا.[2]

وهناك سبب آخر يعلل ظاهرة ازدهار الخطابة في العصر الجاهلي، قد نمثله عندما نفكر في دافع الأدب الجاهلي وطبيعته الشفهية، فلو كان ثمة كتابة جاهلية لقدر للعرب أن يعبروا

[1]– عبد الرحمن أرشيد، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، مرجع سابق، ص 42.

[2]– محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مرجع سابق، ص 83.

عن آرائهم من خلال الكتب والنشرات كما نعبر عن ذلك في عصرنا من خلال المجلات والجرائد والصحف، إلا أن الجاهليين لم يكونوا يلمون بالكتابة، وإن ألموا بها، فإنها كانت كتابة بدائية يسيرة لا تتعدى بعض الأرقام التجارية والعقود السياسية، فالجاهلي محمول على أن يعبر عن آرائه بأدب شفهي مباشر، كانت الخطابة أيسر أسلوب من أساليبه وأولى الوسائل التي دأب عليها في سبيل تنازع بقائه، إذا فالنثر المسموع دون المكتوب كان واسطة التفاهم بين الجاهليين، ولا ننس أن العرب كانوا يجتمعون في الأسواق يتبادلون تجارة الفكر إلى جانب تجارة المال، وفي هذه الندوات كانت الخطابة تنشط للتأثير في المجتمعين. [1]

2-2- الخطابة في العصر الإسلامي:

كانت دواعي الخطابة في ذلك العصر تتفق مع ما عرض لهم، وما سادهم من حياة، وما طرأ عليهم من أحوال وشؤون سياسية واجتماعية، وكان بديهيا أن يكون أول الدواعي للخطابة الدعوة المحمدية والرد عليها، فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بذلك الدين الجديد في قوم القول صناعتهم والبلاغة جل عنايتهم، فناداهم بأبلغ القول، وخاطبهم بأروع الكلام، وخطب في مجامعهم مؤيدا رسالته ناشرا دعوته، حتى ضاقت صدورهم عن سماع قوله بعد أن عجزوا عن مجادلته ومقارعة الحجة بالحجة، فامتشقوا الحسام وتكلموا بالبنان بدل اللسان، فالخطابة كانت الأداة الأولى للدعوة المحمدية، وكانت السلاح الذي يرفعه خصومه في الرد عليه، فكانت تلك الدعوة سببا في انتشار الخطابة ورفع درجة البيان، كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى الناس في مواسم الحج وفي المجامع، وفي المنتديات ويدعوهم إلى الاسلام ويأتي في ذلك بأبلغ الكلام.[2]

[1]- إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 1، 1997م، ص 32.

[2]- محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مرجع سابق، ص 293.

فكان نبي الإسلام يخطب الناس ليحرك قلوبهم، وليزحف الإسلام بتعاليمه من قطر إلى قطر، لأنها تنبثق من معاني القرآن وأحكامه وتشريعاته حيث أنه هو الكتاب الهادي للأحياء فلا شك أن الخطابة كانت وقود حركة الإحياء للمسلمين، فكان الإسلام نهضة كبرى استهدفت تغيير معالم الحياة وكل انقلاب إلى هذه النهضة لا يتم إلا بمخاطبة الجماهير والجماعات في المحافل، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الجهاد لنشر الدعوة الإسلامية في الأمم المجاورة للعرب، فوجد ضربا آخر من الخطابة فكانت الغاية فيه الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى، وازدهرت خطب الجهاد باتساع الفتوحات الإسلامية وكان العمال في البلاد المفتوحة نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبون الناس ويبينون لهم الخطة التي يسيرون عليها.[1]

وأثرت الخطابة وأدت دورها في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حيث الاختلاف فيمن يتولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدادت في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فكان على الخطيب تأييد حزبه ودعوة القوم إلى نصرته فكانت هذه الأحداث عاملا فعالا في ازدهار الخطابة، زد على ذلك الحرية القولية التي جاء بها الاسلام وأعطاها للجميع، وكان الخلفاء الراشدون يطالبون الناس بمؤاخذتهم ومحاسبتهم إذا حادوا عن جادة الحق والعدالة، وهذه الروح خليقة بأن تنهض بالخطابة، وتأخذ بيدها في طريق الرقي والازدهار، وزد على ما سبق من حرية الشورى التي جاء بها القرآن الكريم وطبقها الرسول الأمين.

والخطابة تقوي المواقف الجادة، وهي في كل مواقفها تحتاج إلى الحرية التي تسمح للخطيب أن يقضي بذات نفسه ويعلن كل ما صدره، فإذا كبتت الحرية ضعفت الخطابة والعرب قد تمتعوا بالحرية والتشاور في أمورهم.

[1]– عبد الرحيم أرشيد، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، مرجع سابق، ص 43.

ولا شك أن حرية الفكر والرأي والقول في الأمة سبب هام من أسباب الرقي، فنمت الخطابة في الجاهلية وفي صدر الاسلام وكانت ركن السياسة والحكم والدين في العصر الأموي وصدر من العصر العباسي ثم خفت صوتها بعد أن تحولت الخلافة إلى ملك تظله الحضارة، ثم استردت في العصور الحديثة مكانتها بعد أن سعت الشعور للتحرر من قيود الطغيان والخروج من ظلمات الاستبداد.[1]

وبهذا نخلص إلى أن الخطابة في الجاهلية كانت نتاج تجارب ومشاهد في الحياة، وكذا قوة احساس العربي واندفاعه وعيشه في الصحراء كان من أعظم الدواعي لازدهار الخطابة وأيضا قلة الكتابة في هذا العصر فرضت المشافهة فكانت الخطابة سلاحهم، وفي العصر الاسلامي وبمجيئ الدعوة المحمدية لم يجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أداة ووسيلة يدافع ويحث بها إلى دين الله إلا الخطابة لينشر دعوته ويوصل رسالته.

2-3- الخطابة في العصر الأموي:

هذا العصر من أزهى عصور الاسلام خطابة ومحاورةً، ولم يكن حظ الخطابة من الرواج والنقاء في أي عصر من عصور الأدب العربي كله مثل ما كان في هذا العصر، خصوصا في أول قيام للدولة، وأثناء بذل جهودها العديدة في تثبيت أقدامها ودحض خصومها.

سبب هذا الرواج أن دواعي كثيرة للخطابة كانت متوفرة، الحرية واللغة حية سليمة وطيعة موفورة للمتكلمين، وظروف السياسة العامة تدعو إلى كثرة الخطب وتثير الحماس في نفوس الخطباء.

تعددت الأحزاب وظلت تتعدد لمدة طويلة، وجد في أول الأمر حزبان كبيران، حزب معاوية وحزب علي (رضي الله عنه)، ثم سرعان ما ظهر الخوارج وبرزت أيضا فجأة موقعة

[1]- عبد الرحيم أرشيد، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، مرجع سابق، ص 43.

الجمل ثم ظهر حزب الشيعة بعد مقتل الحسين، كما ظهر حزب الزبيريين ثم حزب بن الأشعث ثم المختار الثقفي، واعتمدت كلها على الخطابة، ومع ما كان يلجأ إليه كل حزب من التحاف الدين والتستر بوشاحه، كان كل حزب ينتقد خصومه ويذكر معايبهم، وقامت لذلك محاورات ومناظرات كثيرة وعنيفة، وهي في جملتها لم تخرج عن منهج الخطابة، ولم يقف هؤلاء جميعا ضد الحزب الأموي فقط، فقد كان الإمام علي يحارب في جبهات متعددة ثم لما استقر الأمر لابن الزبير كان يحارب العلويين كما يحارب الأمويين، وقد عاقب منهم من عاقب، وناظر منهم من ناظر وله مع ابن العباس مواقف معلومة، كل هذه الخصومات والثورات اعتمدت على الخطابة واتخذتها وسيلة دعاية يدافع بها كل عن نفسه ويشهر بخصومه.

ساعد هذا أيضا أن المستمعين كانوا لا يزالون عربا خلصا، يفهمون اللغة ويقدرون الكلام الجيد البليغ، وكان ذلك مما يشجع ويبعث فيهم الهمة والنشاط على تجييد الخطبة وتجويد عباراتها.

وقد كثر فيها الاقتباس من القرآن رغبة في جعل الدعوة دينية ودفاعا عن مبادئ الاسلام ولما هدأت كل هذه الخصومات واستقر الأمر لبني مروان انبعث في الشعر نشاط قلل من نشاط الخطابة وأهميتها، ولكنها لم تنقطع. [1]

2-4- الخطابة في العصر العباسي:

شهد فن الخطابة رواجا وازدهارا في العصر الجاهلي وعصر الاسلام، والعصر الأموي وذلك لأهميتها وقوة تأثيرها ولتوافر حرية القول، ومن هنا فقد احتلت الخطابة موقعا متقدما بين فنون القول النثرية فكانت ذات مكانة مهمة ومستوى فني رفيع في العصور المذكورة.

[1]- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة ، ط2 ، 1986م، ص 210.

فلما جاء العصر العباسي حافظت الخطابة على مكانتها ومستواها الفني الرفيع في بداية العصر،* لكنها لم تلبث على ذلك طويلا حتى خفتت، ويرجع هذا الخفوت إلى سببين هما:

- أن العباسيين لم يطلقوا لها الحرية التي كانت تؤدي إلى قوتها وازدهارها من قبل.
- أن فنونا نثرية أخرى نافستها على مكانتها.*

وهكذا زحزحت الخطابة في عصر بني العباس عن مكانتها الرفيعة التي كانت تحتلها قبل عصرهم، وأصبح النثر المكتوب على الورق ينافس النثر الشفاهي.

وإذا نظرنا إلى أنواع الخطب السائدة في عهد بني العباس فإننا نجد أنها مماثلة للأنواع السائدة فيما سبقه من عصور وهي: الخطب السياسية، والخطب الدينية، والخطب الحربية وخطب الوفاة والاحتفالات، وخطب النكاح. [1]

وكان العباسيون يخطبون في كل مكان ليؤكدوا حقهم في الخلافة، وكان داوود بن علي عم السفاح من أخطب الناس، وكان يرتجل موجزا للقول [2]

فهذا العصر هو امتداد للعصر الذي سبقه من حيث بناء الخطبة وشدة احكامها فضلا عن كثرة النصوص التي وصلت إلينا من هذا العصر وكثرة الخطباء المصاقع، الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة وإجادة القول وحضور البديهة والقدرة على الارتجال، ومن

* أي في عهد السفاح والمنصور والمهدي والرشيد، ثم خفتت.

* كالمناظرات الفنون الكتابية والروائية التي نشطت في هذا العصر.

[1]– محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير، عمان، الأردن، ط 1، 2011م، ص 13.

[2]– حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي، 66/2، ط 4، 2007م.

مشاهير خطباء هذا العصر: خالد بن صفوان، شيب بن شيبة، سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي.[1]

أهم خصائص الخطبة الموضوعية والأسلوبية في العصر العباسي :

أما من الناحية الموضوعية فقد لاحظنا فيما سبق أن أنواع الخطب التي شاعت في هذا العصر كانت مماثلة للأنواع السائدة فيما سبقه من العهود، ومن ثم فقد ضاقت على الخطباء مسالك التجديد في موضوعات الخطب، فاتخذوا من الموضوعات التقليدية مجالات للقول، وضاقت مسالك التجديد في المعاني أيضا.

وأما من الناحية الأسلوبية فقد غلب على الخطباء الميل إلى السلاسة في الأساليب والسهولة في العبارات والتراكيب، واستخدام الجمل المستوية الخالية من التعقيد باستثناء بعض المواضع التي استخدمت فيها جمل معترضة طويلة، وقد تحاشى الخطباء استخدام الألفاظ السوقية والألفاظ الموغلة في الغموض فجاءت ألفاظهم مأنوسة مألوفة، لا تخرج على استشارة المعاجم.[2]

2-5- ا لخطابة في العصر الحديث:

ودعنا الخطابة في العصر العباسي، وتركناها في ذلك العصر وهي في ركود وضعف ثم سارت عجلة الزمان بالخطابة فلم تصادف رقيا كالذي صادفته من قبل عصورها الزاهرة حتى وصلت إلى العصر الحديث، في القرن الثالث عشر هجري (التاسع عشر ميلادي).

[1]- حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية، جامعة الكوفة، مجلد 7، ع 3-4، ص 95.

[2]- محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، مرجع سابق، ص 25-27.

وقد ظلت الخطابة في أول هذا العصر على ما كانت عليه في آخر العصر العباسي لا تتعدى الجوامع والبِيع، ولا تقوم بها إلا فئة جاهلة ناقلة.[1]

ثم لم تلبث كثيرا حتى قامت أسباب وثارت دواع حركتها من ركودها، وبعثت الحياة في كيانها وأخذت تدخل حقبة جديدة من الانتعاش، وطور من الحياة أكثر نشاطا، ويمكن أن نرصد هذه الدواعي التي نشطت الخطابة في هذا العصر على النحو التالي:

– في هذا العصر ابتليت كثير من البلاد الاسلامية بالاجتياح الأوروبي لها وتسلط أجنبي عليها، فيما عرف بالاستعمار، وقد هبت تلك البلاد لمقاومة المستعمر الأجنبي بكل ما تستطيع، وقامت حركات التحرر في أرجاء الوطن الاسلامي في العصر الحديث لطرد الغاصب المحتل، حتى كللت مجهوداتها بالنجاح والظفر بالاستقلال، وقد دفعت ثمنا باهظا في مكافحة سلطان الاستعمار الأغشم، وفقدت مئات الألوف من خيرة أبنائها، وما خبر الجزائر التي قدمت مليونا من أبنائها عنا ببعيد، ولا شك أن مثل هذا الجو قد أتاح للخطابة أن تزدهر وتنشط، وللخطباء أن يبرزوا ويخطبوا في جموع الناس، ويحمسوهم لتحرير الأوطان والدفاع عن المقدسات.[2]

– بالإضافة إلى هذا فهناك المؤسسات والجامعات الدينية التي تأخذ على عاتقها نشر الإسلام والدعوة إلى تعاليمه، واعداد الدعاة الذين يقومون بواجب الدعوة والوعظ، فكان لهذه المؤسسات كالأزهر في مصر، والزيتونة في تونس وغيرهما في بلاد أخرى دور في إمداد الخطابة برجالها وخطبائها من العلماء والدعاة إلى الله.

– ثم إن الحاجة الدائمة إلى الوعظ، والتعليم الديني واقامة الشعائر الاسلامية، يعد من دواعي الخطابة وعوامل رواجها، في كل العصور وفي كل مكان به مسلمون، وان كان

[1]– اسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، مرجع سابق، ص 76–78.

[2]– المرجع نفسه، ص 78.

هذا الداعي من دواعيها يتقلب بين مد وجزر، وانكماش وازدهار، نظرا لأسباب معينة، لكنه يبقى عاملا مهما من عوامل وجود الخطابة على الأقل لاستمراره وعدم انقطاعه.

ولقد تنوعت أغراض الخطابة في هذا العصر وتباينت أنواعها، فكانت هناك الخطابة السياسية، الاجتماعية، الوعظية، والقضائية، بالإضافة إلى خطب المحافل المشتملة على المدح أو تهنئة أو رثاء أو تعزية ونحو ذلك.

وهكذا شهدت الخطابة في العصر الحديث، ازدهارا ونشاطا بسبب العوامل التي أشرنا إليها وغيرها، وبرز في ساحتها خطباء مشاهير من أمثال عبد الله النديم، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومصطفى كامل وغيرهم.[1]

3- ابن باديس وحياته:

3-1- مولده ونسبه:

ولد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة ليلة الجمعة 11 ربيع الثاني من سنة 1307 هـ الموافق لـ 4 ديسمبر 1889، وكان الابن الأكبر لوالديه الكريمين، فوالده هو السيد محمد مصطفى بن مكي بن باديس، الذي كان حافظا للقرآن الكريم عارفا بالضروري من علوم الدين وكان يشتغل بالتجارة والفلاحة ويعد من أعيان قسنطينة وكان ذا وجاهة سياسية عضوا في المجلس الجزائري الأعلى والمجلس العام، كان محافظا على مظهره يحب العلم والعلماء وكان رحماني الطريقة، أما أمه فهي السيدة زهيرة بنت علي بن جلول من أسرة اشتهرت بالعلم والدين.

وهذه الأسرة التي ينتمي إليها بن باديس، تنحدر من العائلة الصنهاجية التي سطع نجمها في ميدان الإمارة والملك بالمغرب الأوسط في القرن 4 هـ، وكان من أبرز رجالاتها: الأمير

[1]- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، مرجع سابق ، ص 80-81.

زيري بن مناد بن منقوش (360 هـ/971 م). وأيضا المعز لدين الله بن باديس (454 هـ) الذي أعلن مذهب السنة والجماعة مذهبا للدولة سنة 404 هـ، ومنفصلا بذلك عن الدولة الفاطمية التي كانت تدين بالمذهب الشيعي الفاطمي.

ومن أسلاف بن باديس المتأخرين جده لأبيه الشيخ المكي بن باديس الذي كان قاضيا مشهورا بمدينة قسنطينة، وقبله النائب الشهير والقاضي أبو العباس أحميتة بن باديس، مما يدل على أن أسرة بن باديس كانت أسرة عريقة في المجد والشرف والمكانة البارزة في تاريخ المجتمع الجزائري. [1]

3-2- تعليمه:

كانت الدروس الأولى التي تلقاها ابن باديس هي حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد الماداسي فأتم حفظه وهو في الثالث عشرة من عمره، وبعد حفظه للقرآن الكريم انتقل للدراسة على يد الشيخ حمدان الونيسي، حيث القى على يديه علوم اللغة العربية والفقه والحديث هاجر الشيخ حمدان إلى المدينة المنورة ولم يكمل التلميذ تعليمه بعد، فاتجه إلى الزيتونة علم 1326 هـ (1908 م)، وعمره حينذاك تسعة عشر عاما، ليدرس هناك ثلاث سنوات نال بعدها شهادة التطويع.

وقد كانت دراسته في تونس مناسبة لإكمال تعليمه على أيدي علماء أفاضل أثروا في الشيخ عبد الحميد أبعد التأثير، ومن هؤلاء الشيخ محمد النخلي أستاذ التفسير، والشيخ الطاهر بن عاشور مدرس الأدب العربي، والبشير صفر أستاذ التاريخ، وهناك فتحت أنظار ابن باديس على ما كان يجري في العالم الاسلامي، بالإضافة إلى مطالعاته الخارجية التي جعلت تحصيله العلمي يفوق كثيرا ما يناله من سعى للحصول على الشهادة فقط، أما الشيخ عبد الحميد فقد كان شابا مختلفا عن أقرانه فقد تيسرت له سبل التحصيل العلمي كما لم

[1]- مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، ط 1، 2006م، ص 13-14.

يتيسر لغيره، ولعلنا نستمع إلى ما يقوله الشيخ عن مطالعاته واصراره على التحصيل فيما رواه عنه أحد تلامذته: "كنت أسهر الليالي للدراسة والمطالعة مستعينا ببعض المنبهات لكنني حين أحس أن النوم يغالبني، ولم تعد المنبهات تنفع في دفعه عمدت إلى مطرح أضعه على الأرض وأضع مرفقاي على الأرض أو أحدهما فيلامس الأرض باردا فأستيقظ وأجدد مطالعتي و مراجعتي حتى أفرغ منها". ولم يكن هذا الاجتهاد ليضيع هباء فقد برز ابن باديس بين طلبة الزيتونة حيث كان على رأس قائمة الخريجين، وقد عرف ابن باديس بنبوغه رغم صغر سنه حتى أنه استطاع اختصار مراحل الدراسة المقررة وهي سبع سنوات إلى ثلاث سنوات فقط. [1]

3-3- آثاره:

شخصية ابن باديس شخصية غنية ثرية ومن الصعوبة في حيز ضيق من الكتابة الإلمام بكل أبعادها وآثارها، فهو مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين ويعلم كيف تكون النهضة وهو عالم مفسر، فسر القرآن كله خلال خمس وعشرين سنة في دروسه اليومية كما شرح موطأ مالك خلال هذه الفترة، وهو سياسي يكتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين وخاصة في الجزائر، ويهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية ويشرح أصول السياسة الإسلامية، وقبل كل هذا فهو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد، فأنشأ المدارس واهتم بها.

إن آثار ابن باديس آثار عملية قبل أن تكون نظرية في كتاب أو مؤلف، والأجيال التي رباها كانت وقود معركة تحرير الجزائر، وطريقته في التربية هي توعية هذا النشء بالفكرة الصحيحة كما ذكر الابراهيمي عن اتفاقهما في المدينة: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها سنة 1913 في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة". وينتقد ابن

[1]- مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، دمشق، ط 2، 1999م، ص 30-31-32-34.

باديس مناهج التعليم التي كانت سائدة حين تلقيه العلم والتي كانت تهتم بالفروع والألفاظ، فيقول: "واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية، مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفنى الأعمار قبل الوصول إليها".

أما انتاجه العلمي فهو ما جمع بعد من مقالاته في "الشهاب" وغيرها من دروسه في التفسير والحديث. [1]

3-4- وفاته:

توفي ابن باديس مساء يوم الثلاثاء 16 أفريل 1940 م، إثر تعرضه لمرض مفاجئ قصير لم يمهله، فنعته الجزائر كلها وحزن على فقده محبوه وعارفوا فضله ومكانته في العالمين العربي والاسلامي، ودفن في مسقط رأسه مدينة قسنطينة، لتخرج جماهيرها عن بكرة أبيها في وداعه وفية لرائد ومصلح عظيم ومعلم ومرب وداع حكيم، ستبقى ذكراه معاني تستلهم بحاضر ومستقبل أجيالنا وشباب أمتنا الناهض ورصيد قوة نمدها العالمية. [2]

[1]- محمد بن محفوظ ابن مختار الشنقيطي، جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص 13-16.

[2] فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، د ط، د ت، ص30.

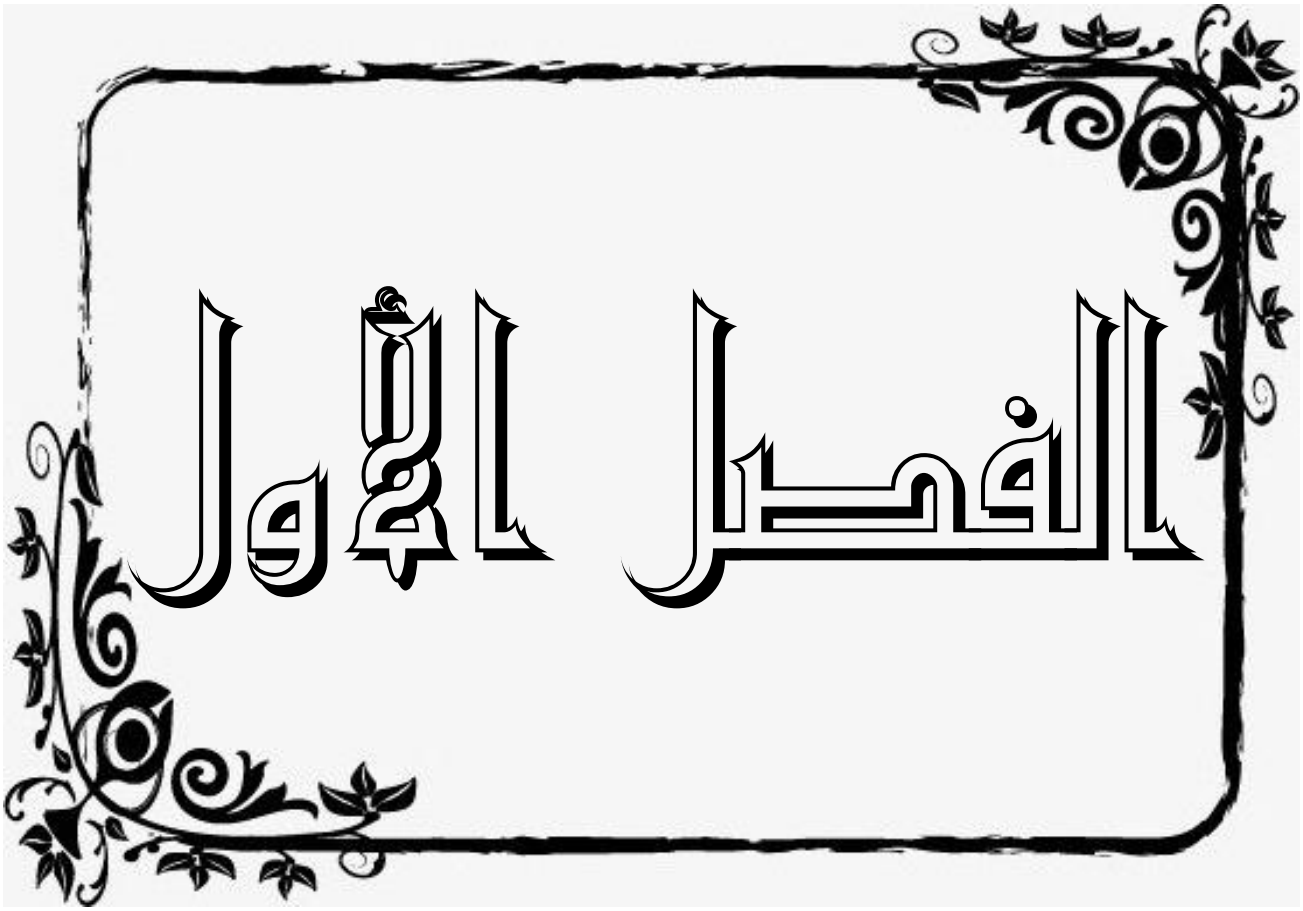
الفصل الأول

المبحث الأول:

1- الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بعد ظهور العلماء« أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الاسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا ووطنيا». [1]

وقد لاحظنا أن هؤلاء العلماء قد تأثروا بغيرهم من العلماء خارج الوطن، وتعلموا أفكارا جديدة عن الحضارة الإسلامية، واكتسبوا تصورات عامة عن قوى العالم ومشاكله، وعند عودتهم إلى أرض الوطن دبت فيهم روح التغيير، فالتف حول هذه الجمعية أدباء ومصلحون يدعون إلى العودة إلى المنابع الصافية للإسلام وتقاليد السلف الصالح، من هنا نشأت الجمعيات والنوادي الثقافية وانتشرت الصحافة الوطنية مما أدى إلى ظهور خطابة متطورة في أسلوبها ومضمونها وموضوعها، إذ أصبحت فناً راقياً ساهم مساهمة فعالة في تنوير العقول وتهيئتها، وطبيعيا أن تنشط الخطابة في مثل هذه الأجواء المتميزة بالحركة والصراع المحتدم بين جميع الأطراف، والدعوة إلى فكر مستنير يستمد أصالته من تاريخ الأمة الأصل ويعتمد اللغة العربية الفصيحة وبيانها المشرق في تبليغ الأفكار الإصلاحية. وكانت الخطابة الأداة الفعالة في ذلك، إذ كانت الوسيلة الناجحة التي اعتمدتها الجمعية في كثير من نشاطاتها، الأمر الذي هيأ مناخا مناسبا لتطورها في الأسلوب والمحتوى، بل أصبحت فنا يؤدي دوره الرسالي على أكمل وجه في الواقع المعيش، وقد برز من خطباء الإصلاح في الجزائر عدد كبير اشتهروا بالفصاحة والبيان والقدرة على توعية الجماهير، ودفعهم إلى مقاومة الاحتلال، نقف عند بعضهم لإبراز مكانة الخطابة في تلك المرحلة التي تمر بها البلاد ويأتي في مقدمة هؤلاء الإمام **الشيخ عبد الحميد بن باديس** الذي يعد أحد أقطاب

[1]- سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني، حياته، تراثه، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1983م، ص 188-191.

الخطابة البارزين في الجزائر، ويأتي بعده **الشيخ البشير الإبراهيمي** الذي يعد هو الأخر من مشاهير الخطباء في الأدب العربي عموما والأدب الجزائري خصوصا، فقد ملك ناصية القول واستوعب البيان العربي وتبحر في اللغة العربية وآدابها وامتاز بالقدرة على توليد الكلام وامتاز بالموهبة الأدبية وعرف بالارتجال، فالإبراهيمي معروف بتضلعه في الأدب وتمكنه من اللغة مما يعطي طابعا خاصا لخطبه فهو حين يقول نجده يعبر بلغة عن مشاعره وعواطفه قصد إحداث اللذة الأدبية والامتاع على جانب فكرة معينة يهدف إلى تطويرها.

وهذا قد أعطى للخطابة دفعا قويا في تلك المرحلة، إذ أصبحت فنا راقيا يتميز بالميل إلى الجزالة والفخامة في التعبير وأنواع البديع والبيان في الأسلوب، فاللغة عنده وسيلة وهدف. [1]

من هنا كان مفخرة الجيل، وآية الدنيا، ومنه القدر على العربية وآدابها وفلسفتها وأحد العباقرة الذين يرفضون خلودهم على الأيام فهو العالم الديني الممتلئ الجوانب من روح الشريعة وفقه أسرار الدين وهو الفيلسوف الاجتماعي الذي لا يشق له غبار». [2]

وقد توسعت الخطبة الإصلاحية في عهد جمعية العلماء لارتباط الجمعية باللغة العربية واستعمالها في التعليم والوعظ والارشاد والصحافة، وهكذا ظهر خطباء ووعاظ ومدرسون من أمثال أبي يعلى الزاوي، العربي التبسي، مبارك الميلي ...

إن الخطبة الإصلاحية على يد هؤلاء قد خرجت من موضوع الاستنهاض والسلفية إلى الموضوعات الاجتماعية كالفقر، التكافل والتعليم والموضوعات الوطنية كتاريخ الجزائر والعرب والإسلام والاستعمار واستقلال الشعوب وحريتها، وقد أعدت مدارس الجمعية العلماء منهجا تربويا لتكوين الخطباء، فألزمت المعلمين بتعليم الأطفال فن الخطابة من الصغر

[1]– عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، موضوعاتها وخصائصها، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2004م–2005م، ص 82–84–87.

[2]– الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 1، 1997م، 233/3.

وتشجيعهم على الإلقاء في الحفلات العامة وارتجال الكلمات المناسبة، كما قد أسست نوادي ليتبارى فيها الخطباء في مناسبات مختلفة. [1]

2-الخطابة عند ابن باديس:

كانت ولا تزال الخطابة سلاح المجتمع الانساني في سلمه وحربه، لذلك ليس بدعا ان وجدناها الوسيلة الفاعلة والمؤثرة التي يلجأ إليها المصلحون والسياسيون لبلوغ مقاصدهم، ثم هي إلى اليوم تعد ضرورة حيوية للدول والشعوب والمجامع الدولية لا يستغني عنها حاكم ولا زعيم ولا قائد ولا مصلح ولا نائب ولا معلم ولا كاتب ولا ممثل، حتى الدكتاتوريات التي تعيش على خنق الحريات اتخذتها الوسيلة للتسلط على الأذهان، وترويح ما تدعو إليه من حق أو بهتان. [2]

ولعل أبرز من مثل هذا الفن في الجزائر في العصر الحديث نجد المصلح والعالم الكبير عبد الحميد بن باديس، والذي يأتي في مقدمة خطباء الاصلاح في الجزائر واشتهر بالفصاحة والبيان والقدرة على توعية الجماهير ودفعهم إلى مقاومة الاحتلال.

اشتهر ابن باديس بخطبه النافذة والمؤثرة وكان مخلصا في كلامه، صادقا في تعابيره حاضر البديهة، كثير الاستشهاد بالشواهد، ومع ذلك كان محافظا على توازن القول فلا يميل إلى الهجوم ولا يغالي في التقريع، فكان اعتداله من خصائص شخصيته ومن أسرار نجاحه وتأثيره. [3]

كان ابن باديس شخصية كاريزمية قيادية محنكة فطنا عارفا بدسائس فرنسا ومكائدها حافظا لدروس شيوخه، وسار على درب الإمام عبده، بعد خوض السياسة حتى أنه اعتذر من قبول

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1998 م ،108/8.

[2]- طاهر درويش، الخطابة في صدر الاسلام، دار المعارف، مصر، ط 2، 1968 م، 7/1.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق،108/8-109 .

دعوة الأمير خالد عندما قال: "أنا لست سياسيا، أنا رجل دين، حسبي أني انشر الدين الاسلامي". [1]

وعلى هذا الأساس كانت الخطابة الدينية خاصة ابرز انتاج لدى الإمام ابن باديس في الفنون القديمة، والمقالة أبرز انتاجه في الفنون الحديثة، فكان يخطب في العامة، وفي الخاصة أثناء رحلاته وتنقلاته التي كان يقوم بها في مختلف أرجاء البلاد على مدار السنة، فكان يلتقي أثناءها بالأهالي، فيطلع على أحوالهم عن كثب، ويقوم بتوعيتهم بواقعهم ويحثهم على النهوض، وكان يخطب في الخاصة في لقاءات جمعية التربية والتعليم وفي مؤتمرات جمعية العلماء واجتماعاتها الدورية والسنوية. [2]

ولعل أبرز سمة ميزت خطب ابن باديس قصرها حتى تتماشى والخطب النبوية، أما خطبه التي ارتجلها في الملتقيات السنوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فاتسمت بالطول كما أثر عن خطبه معالجة الفكرة بروية وهدوء بعيدا عن الانفعالات العاطفية والحماسة المبالغة وكانت خطبه كلية تعالج مواضيع السياسة والاجتماع والدين في بنيان واحد.

ومن الخطب البارزة لابن باديس والتي تعكس أسلوبه وفكره ومنهجه الجدالي، تلك التي ألقاها سنة 1937 بقاعة الماجيستك بمناسبة الاجتماع العام للجمعية ونرى فيها أول ما نرى ترديد الإمام للفعل **حورب** المبني للمجهول، وهي لفتة ذكية من شيخ الاصلاح تعبر عن فكره التسامحي مع الخصومة، لأنه لا يقصد شخصا بعينه أو جماعة محددة، وهو ما يعطي أيضا لخطبته طابعا شموليا لا ينقضي في أوانه، فكان من أهم ما ألقاه:

[1]– عبد الرحمن بن ابراهيم العقون، الكفاح القومي السياسي، من خلال مذكرات معاصر، 1929م–1936م، الجزائر، د ط، 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب،35/1.

[2]– محمد بن سمينة، الفنون النثرية عند عبد الحميد بن باديس، د ط، د ت، ص 27.

"حورب فيكم الاسلام حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده ومكارمه فجئتم بعد قرن ترفعون على التوحيد، وتحملون من الاصلاح لواء التجديد، وتدعون إلى الاسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكما يرضى الله لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه الأعداء". [1]

ويتوسم في خطبه ابن باديس الدقة في التعبير، وحسن اختيار الكلمات، فهو شيخ الخطبة الاصلاحية الفضفاضة، يتقن الاجمال في التصور، والطرح العام فيتهم أعداء الاسلام الذين يعرفهم الجميع دون أن يسميهم، ولكن في آن واحد تقوم تعابيره كإشارات دالة موحية أيقونة الصدى، فعبارة "حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون" هي تهمة موجهة إلى الطرقية الحديثة التي أخلدت إلى الأرض وهم دون غيرهم أصلح إلى هذا الوصف.

إن رمزية الكلام الخطابي الباديسي على وضوح ألفاظه وسهولة صوغه يطفح بالحقائق النيرة، فتتقاذف كمشاعر تنير درب الهائمين وتشد من أزر الواثقين.

فالخطابة عند ابن باديس كانت تسير وفق مبدأ الاصلاح والنهضة محاولا بذلك بث معالم ومقومات الهوية العربية ونشر مبادئ وتعاليم الدين الاسلامي.

3- أنواع الخطابة:

منذ اجتمع الناس في مكان واحد استوطنوه وتفاهموا بلسان واحد، عرفوا الخطابة لأنه من الطبيعي ان يختلفوا في رأي أو عقيدة ومن الطبيعي أن يتنافسوا على غنيمة أو متاع أو سلطة فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يخالفون، وأن يقنعهم، فإذا ما اقتنعوا واستمالهم فهو خطيب وقوله خطبة. [2]

---

[1]- لعور كمال، الصراع الفكري في النثر الجزائري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة السانيا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2014م-2015م، ص 155-159-160.

[2]- ديل كارنيجي، فن الخطابة، ط 1، 2001م، ص 7.

قسم اليونان قديما الخطابة إلى ثلاثة أقسام تبعا لأصول الزمان من ماضٍ وحاضر ومستقبل وسموها التثبيتية أو البيانية والشورية والقضائية.

فالأولى تختص بالزمن الحاضر لمدح فترغيب أو ذم فتفقير، والثانية تتعلق بالمستقبل لحمل السامعين على جلب النفع للأمة أو دفع الضر عنها، أو للحث على الحرب أو السلم ومن القوانين التي تسير عليها الأمة، والثالثة تختص بالماضي والغاية منها الدفاع عن متهم بتبرئته أو الحكم عليه بالإدانة، وهي من اختصاص المحامين ورجال النيابة.

وهذا التقسيم وضعه أرسطو في كتابه المعروف بالخطابة وقد سار على هذا التقسيم أرباب الخطابة لعشرين قرنا، ولعله لم يتعرض للخطابة الدينية لندرة استعمالها في أمته، ثم تطورت أحوال المعيشة المدنية والسياسية والدينية مما دعا إلى تبديل ذلك التقسيم. [1]

3-1- الخطب الدينية:

الخطبة الدينية هي التي تعتمد على تعاليم الدين، أو تلقى لغرض من أغراضه فهي تشمل الخطبة المنبرية التي تلقى في الجمع والأعياد ويوم الحج الأكبر وعند صلاة الاستسقاء، كما تشتمل المواعظ والخطب التي تلقى في المجتمعات الدينية أيا كانت ففي الجمعيات الدينية وسرادقها كالعزاء ومجالس الصلح... وإليها تلقى خطب تستند في معاينها وأغراضها إلى الدين ويستشهد الخطيب لما يطلب فيها بآيات القرآن الكريم والحديث الشريف فهذه خطب دينية وأهمها جميعا خطبة الجمعة لتكرارها ولأنها فرض لا تصح الصلاة إلا بها.

والخطبة الدينية أشق أنواع الخطب جميعا فإذا استهان بها الخطيب وجعلها أمرا تقليديا هانت وسقطت وأصبحت عديمة الفائدة نهائيا.

[1]- علي محفوظ، فن الخطابة واعداد الخطيب، دار الاعتصام (د ط)، د ت، ص 69.

والخطابة الدينية دائما ذات مغزى شريف وأغراض سامية ونبيلة لأنها دائما تلفت الذهن إلى الجزاء الأخروي وتحذر من الحساب على الأعمال، فهي بهذا ترفع الانسان عن الأغراض المادية وتتسامى به إلى المعنويات. [1]

وعليه فالخطب الدينية هي التي تتناول في ثناياها مواضيع دينية وتحث على قضايا وأمور في مجال الدين وعلى العمل الصالح وتقوى الله.

3-2- الخطب العلمية (المحاضرات العلمية):

هذا النوع من المحاضرات تقرب فيه المسائل العلمية، تسهل فيه الأفكار وتجتذب الأسماع ولذا يعد من أنواع الخطابة، وان لم تكن بحوث من الموضوعات الخطابية ويلاحظ في الخطب العلمية ألا تفقد صبغتها العلمية ولا روحها الفكرية، ولذا يجب أن يقل الخطيب فيها مما يثير الغضب أو الحزن أو الحماسة، فما وقف لينير أشجانهم أو أفراحهم، أو يلهب حماستهم، ولكن لينمي عقولهم بخلاصة لما وصل إليه الفكر البشري في الموضوع الذي يطرقه، وليس معنى ذلك أن يخلو كلامه والقاءه من الطرق الخطابية، بل معناه ألا تسيطر المظاهر الخطابية على الحقائق العلمية، فعليه أن يتخذ من الخطابيات ما يساعد على تثبيت المعلومات في الرؤوس وإثارة الانتباه فالخطابيات هنا وسيلة لا غاية. [2]

فالخطب العلمية أو المحاضرات العلمية هي التي تتناول مسائل و قضايا علمية، لكن وفق أسس خطابية يتناولها الخطيب أو المحاضر، ولا بد أن يكون خطابه وسيلة لتثبيت المعلومات في ذهن المتلقي وإثارة انتباهه.

[1]- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، مرجع سابق، ص 108-109.

[2]- محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مرجع سابق، ص 248.

3-3- الخطب السياسية:

هي التي تلقى في المجالس النيابية أو الشورية أو النوادي العمومية التي ينظر فيها النواب ورجال الشورى في شؤون الدولة وأمور الرعية لسن القوانين وتنظيم الدوائر الرسمية كالعدل والحرب، والمعارف وما يناط بكل منها، ولهذه الخطب شأن كبير، فإن عليها مدار حياة الأمة ورقيها ماديا وأدبيا، والعمل في الحرب والسلم، وتكون في الدول الدستورية الحرة سواء كانت جمهورية يديرها نواب الأمة، أم ملكية يخضع ملكها للدستور، فيملك على الدولة ولا يسوسها إذ الحكم فيها لنوابها ومثلها الولايات المختلفة أو الممتازة في تدبير شؤونها الخاصة أما الدول ذات السلطة المطلقة فلا، لأن زمام الأمر في يد الفرد يأمر وينهى كما يشاء.[1]

وتتشعب الخطب السياسية إلى عدة فروع منها:

-الخطب التي يلقيها الحاكم أو من ينوبه في توجيه أمور الدولة أو الرعية ومصالحها.

- الخطب التي تلقى في الانتخابات سواء أ كانت المجالس النيابية أو الشورية، أم انتخابات لرئاسة البلاد وحكمها.

- المؤتمرات السياسية المحلية، وكذلك المؤتمرات الدولية.

- الخطب النيابية وهي التي تكون في دور النيابة، وتشمل خطب الأعضاء المعترضين على الحكومة أو المؤيدين لها أو السائلين أو مستجوبين، أو متناقشين فيما بينهم، كما تشمل خطب الوزراء مجيبين أو معترضين، أو داعين إلى الموافقة على أمر. [2]

فالخطب السياسية هي التي تعنى بأمور وشؤون الدولة وأمور الرعية.

---

[1]- على محفوظ، فن الخطابة واعداد الخطيب، مرجع سابق، ص 82.

[2]- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط 5، د ت، ص 202.

3-4- الخطب القضائية:

الخطبة القضائية هي التي تلقى في ساحة المحاكم أمام القضاء طلبا للحكم في أمرٍ ما وهي تختلف باختلاف المحاكم التي تلقى بها، فقد تكون في أمر جناية أو أمر مدني أو حالة من الأحوال الشخصية، وموقف الخطيب المحامي أو وكيل النيابة يختلف باختلاف القضية التي يتكلم فيها من حيث نوعها وأهميتها والأحداث التي بنيت عليها.

هذا النوع من الخطابة قديم ترجع قواعده وأهم أصوله إلى اليونان ثم إلى الرومان، وكان موجودا عند العرب قبل الاسلام، نجده في مجتمعاتهم التي يقررون فيها شؤون الديات والقصاص والغارم، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمية هذا النوع في قوله لنفر من الأنصار اختصموا إليه: "إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلي وقد يكون بعضكم ألحن(*) بحجته من الآخر فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقتطع له قطعة من نار".

أهم ما تعتمد عليه الخطبة القضائية:

- درس القضية درسا معمقا شاملا بحيث لا يغيب عن الخطيب أدنى جزئية منها.
- وضعها في الصورة القانونية الملائمة بحيث ينجح طلبه بأقصى ما يستطيع ويبحث اقتناع القاضي أنه يعتمد على القانون لا على التهريج والإثارة.
- جودة الأسلوب وقوة التعبير مما له أثر كبير في انجاح الخطبة القضائية. [1]

وبهذا فالخطبة القضائية هي التي تقدم في المحاكم وتختلف باختلاف القضية مثلا جناية أو غيرها والهدف منها هو تمييز الحق وتبرئة المتهم البريء.

---

* أفصح وأبين.

[1]- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، مرجع سابق، ص 88-89.

3-5- الخطب العسكرية :

وهيا لخطب التي تلقى على الجنود في ميدان الجهاد، لتحريضهم على قتال عدوهم وتحفيزهم على الثبات والإقدام، وحثهم على التضحية وبذل كل ما لديهم من طاقة قتالية لتحقيق النصر والظفر بالمطلوب.

وقد يلقيها القائد العام للجيش أو من ينوب عنه وقد يلقيها كذلك قائد مجموعة من الجيش تقوم بمهمة عسكرية.

وقد يلقيها أحد الدعاة ممن يناط بهم أمر توجيه الجنود معنويا، فينتقل إلى مواقع الجنود وثكناتهم العسكرية، ويخطب فيهم حاثا لهم على الاستبسال في القتال، ومرهبا إياهم من التخاذل أو الفرار من لقاء العدو، محذرا لهم من إيثار الدنيا على الآخرة.

ولا شك أن لهذا النوع من الخطب أهمية، فله دور بالغ في إنهاض الهمم وبعث العزائم وتثبيت القلوب والأقدام، وخاصة إذا كان الخطيب مجيدا ماهرا في خطبته. وينبغي على الخطيب في مقام الحرب أن يتسم إلقاؤه بأكبر قدر من الحيوية، والروح الحماسية، وعليه أن يستثير مشاعر الجند ويخاطب فيهم الوجدان، ويلامس القلوب فيذكرهم بما أعده الله للمجاهدين المخلصين من الأجر والمثوبة.

وعليه أن يستنهض هممهم، ويقوي من عزائمهم بتذكيرهم بما هم فيه من قوة بإيمانهم بالله تعالى وأخذهم بالأسباب.

كما يحسن بالخطيب أن يراعي وضوح الأسلوب وقرب المعاني وبساطة الألفاظ، لتمكين عامة الجند من استيعابها، والانفعال بها، والتأثر بمعانيها. [1]

[1]- اسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، مرجع سابق، ص 71-72.

فالخطب العسكرية هي الخطب التي يلقيها القائد على جنوده حاثهم على مقاتلة العدو والتضحية في سبيل ذلك، ولا بد على الخطيب أن يراعي وضوح الفكرة والأسلوب

المبحث الثاني:

1-أركان الخطبة:

تنقسم الخطب إلى أقسام يمكننا أن نطلق عليها أركان الخطبة، مع ملاحظة أننا لا نعني أنها أركان حتمية لا بد من توافرها في كل خطبة وأن الخطبة إذا خلت من أحدها تصبح مختلة أو ناقصة وإنما هو تقسيم فني للخطبة يجعلها أقرب إلى الدقة والكمال. [1]

وقد أشار أيضا عبد الرحمن بوكيلي أن للخطبة ثلاثة أركان حيث قال: "للخطبة أركان ثلاثة":

أولها: الخطيب وهو الذي يلقي الخطبة.

ثانيها: الخطبة وهي الكلام الصادر عن الخطيب.

ثالثها: المخاطب وهو المعني بالخطبة. [2]

1-1- الخطيب:

المرسل الذي يلقي نص الخطبة على الجماعة ويجب أن تتوفر فيه جملة من المواصفات والخصائص تتمحور حول مظهره وشخصه وطريقة إلقائه وصوته ونبراته وقوة أسلوبه، فضلا عن مقدرته البلاغية والبيانية وامتلاكه ناصية البيان. [3]

---

[1]- عبد المحسن عبد الله الخرافي، لطائف الأدب في استهلال الخطب، الوعي الاسلامي، الكويت، ط 1، 2012م، ص51.

[2]- عبد الرحمن بوكيلي، الأساس في الدعوة والخطابة، ط 1، 2006م، الرباط، ص 11.

[3]- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، ص 61.

فالخطيب هو الذي تهزه المؤثرات الطبيعية فيتردد صداها فيه بالوحي ينزل على لسانه والبلاغة تتدفق في بيانه [1] ، فالخطيب هو المتحدث عن القوم أي هو من يقوم بالخطابة. [2]

ويعد الخطيب العنصر الأساسي في تكوين الخطبة، بل الرئيس، وعليه تبنى الحادثة أو الخطبة، وللخطيب صفات عدة يجب أن يتحلى بها أهمها:

- كثرة المطالعة والقراءة، ويكون واسع الاطلاع على العلوم الانسانية ملما بالتراث التاريخي والاجتماعي والسياسي وما يدور في بيئته.
- الإلمام بأصول الخطابة وقواعدها.
- التمكن من اللغة النحو وأساليب القول. [3]
- فصاحة اللسان:

وهو الدعامة الأساسية للإلقاء الجيد، لذا وجب عليه أن يهتم بتصحيح الكلام الذي ينطق به ويلاحظه في مفرداته وعباراته وذلك يتأتى بدراسة علوم البلاغة. [4]

- السيطرة على الأداء:

يجدر بالخطيب أن يبدع الكلام، ويسيطر على أداء الكلمات وصياغة الجمل، بحيث لا يواجه عند الإلقاء طريقا مغلقا، ولا يتوقف بحثا عن المفردات والكلمات المناسبة. [5]

وبهذا فالخطابة كما أشرنا تحتاج من الخطيب اكتمال الأسلوب، وتقدير المنطق والاختيار الأنسب للمعاني وحسن الأداء، فالخطيب بذلك يكون عنصرا مهما في بناء الخطبة.

---

[1]– نقولا فياض، الخطابة، د ط، د ت، ص 21.

[2]– طارق محمد السويدان، فن الإلقاء الرائع، ط 3، 2004 م، ص 18،

[3]– عبد الله علي جابر المري، الخطابة عند الفاروق (دراسة أسلوبية)، رسالة ماجيستير مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على ماجيستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأدب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، 2011–2012 م، ص 12.

[4]– أحمد أحمد غلوش، قواعد علم الخطابة، مؤسسة الرسالة، جامعة الأزهر، ط 2، 2007 م، ص 209.

[5]– محمد تقي فلسفي، البيان وفن الخطابة، تر: عباس حسين الأسدي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط 2، 2006م، ص103.

1-2- الخطبة:

وهي النص الملقى على الجماعة، ويجب أن يكون سهل اللغة، بحيث يفهمها عامة الناس وكذلك قوة الصياغة اللغوية، وتمتع أسلوبه بنفس الخصائص الموسيقية والبيانية التي يتمتع بها الشعر.[1]

فالخطبة هي النص الذي يلقيه الخطيب لجماعة من الناس بهدف توجيههم وارشادهم أو اقناعهم في أمر ما.

1-3- المخاطب (المتلقي):

يعد المستمعون العنصر الذي يوجهه إليه الكلام في الخطبة، لذلك يجب أن يكون الخطيب عالما بهذا الجمهور، وواضعا ثقافة الجمهور وعلمه أمامه عند تحضير خطبته، أي مراعات مستويات الجمهور والمطابقة وفق مقتضى الحال، واعدادها الإعداد الصحيح والكافي.[2]

فالمخاطب هو الذي يتلقى ويستقبل الكلام وهو الذي يوجه إليه الخطيب كلامه.

2- عناصر الخطبة:

2-1- المقدمة:

هي مبدأ الخطبة، و نعني بها الكلام الذي يقصد منه تهيئة نفوس السامعين لتلقي ما سيلقى إليهم بالتسليم[3]. يتوسل بها الخطيب ليمهد لآرائه وأفكاره، ويستثير عاطفة السامعين، ويجذب انتباههم، وقد عرفت مقدمات الخطب بعدة أسماء منها: صدر الكلام عند عبد الله بن المقفع

---

[1]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة، مصر، د ط، 2002م، ص 117.

[2]- عبد الله علي جابر المري، الخطابة عند الفاروق، رسالة ماجيستير، مرجع سابق، ص 17.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، أصول الانشاء والخطابة، تحق: ياسر حامد المطيري، دار المنهاج، الرياض، السعودية، ط1، 1433هـ، ص 40.

والتصدير عند الجاحظ، ومفتاح الخطبة عند ابن قتيبة، وكلما برع الخطيب في اختيار المقدمة الملائمة للموضوع تفوق في اقناع المتلقين بحديثه وما يستعرضه من أفكار وآراء.[1]

أهم مميزاتها:

- أن تكون قصيرة موجزة.
- أن تدل على مضمون الخطاب.
- أن تشمل بعض الكلمات المميزة والعبارات الجاذبة للجمهور.
- أن تحمل دلالة على شخصية المخاطب وهويته الفكرية والعقائدية.

2-2- العرض (المضمون):

وهو صلب الموضوع الذي يريد المتحدث الخوض فيه سياسيا أو معرفيا أو ثقافيا أو اجتماعيا أو نحوه، والعرض هو متن الخطبة المراد إلقاءه وفيه يتم وضع الأفكار والمفاهيم والقيم التي يريد المتحدث ايصالها للناس والجمهور من خلال حديثه.[2]

وللمضمون شروط أهمها:

أ- الوحدة والترابط:

تتحقق الوحدة مع الترابط عندما يتناول الخطيب موضوعا واحدا، بحيث تكون أفكاره متسلسلة تسلسلا منطقيا.

ب- الوضوح:

فيجب أن يكون كلام الخطيب واضحا، فالألفاظ الواضحة تسهل على السامعين إدراك المعنى وفهمه.

---

[1]- يسرى عبد الغني عبد الله، النثر في عصر صدر الاسلام، ط 1، 2017م، ص 19.

[2]- نزار أبو منشار، فن الخطابة ومهارات تطوير الأداء الخطابي، د ط، د ت، ص 8-10.

ج- استخدام الأدلة:

وهذا الشرط نجده في أساليب الخطباء لإقناع المستمعين، وذلك عن طريق استخدامهم لبعض الأدلة التي تحقق لهم هذا الهدف. [1]

فالمضمون هو لب الخطبة وأساسها الذي يطرحه الخطيب، ويتطرق فيه لقضايا سياسية واجتماعية أو ثقافية بهدف ايصالها للمتلقي .

2-3- الخاتمة:

ذكرنا سابقا أن المقدمة تهيء السامع للتأثر وتجذب عواطفه، أما الخاتمة فهي آخر ما يعلق في آذان السامعين من كلام الخطيب، وكما اهتم الخطباء والنقاد بالمقدمة، كذلك أعطوا للخاتمة اهتماما مماثلا، فقد أوصوا بضرورة تجويدها لأنها الأثر الأخير الذي سيبقى في نفوس المستمعين.[2]

فللخاتمة شروط أهمها:

ألا تكون بعيدة عن الموضوع ولا مجددة لأدلة أو أراء جديدة، لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما جزءا من الخطبة وامتداد لها، فمهمة الخاتمة تكمن في تركيز معاني الخطبة واستمالة الناس نحوها، وأن تحقق الهدف منها وأن تكون قريبة في تعبيرها وفي القاءها، وأن تكون قصيرة وحاسمة ومشوقة ومذكرة وجامعة للفكرة.[3]

وبهذا فالخاتمة هي خلاصة لما اشتملت عليه الخطبة، فهي بذلك تكون شاملة وملمة لما جاء في الخطبة وما ورد فيها.

---

[1]- يسري عبد الغني عبد الله، النثر في صدر الاسلام، مرجع سابق، ص 21.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- عبد الله علي جابر المدي، الخطابة عند الفاروق، رسالة ماجيستير، مرجع سابق، ص 15.

3-أهمية الخطابة والغاية منها:

للخطابة أهمية كبيرة وغاية هي ارشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، وهي تكمل الانسان وترفعه إلى ذرى المجد والشرف، حيث أن الخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه، وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل وهي التي تهدي الضال إلى سواء السبيل.[1]

وكذا تنبثق أهمية الخطابة من أمور:

- كونها حاجة نفسية.
- ظاهرة من ظواهر المجتمع البشري.
- وحدتها الكلمة بسحرها وفاعليتها.
- بيان من البيان الذي هو نعمة الله على الانسان.
- سلاح من أسلحة الدعوة.2

4-خصائص الخطبة:

الخطابة عملية مشافهة وإلقاء، تميزت عن الكتبة المدونة التي يقرأها الجمهور دون مشافهة، والمتتبع لكتابة العلماء نجدهم خصصوا للخطابة بما يلي:

4-1- خصائصها في ألفاظها:

ألفاظ الخطابة سهلة جزلة، بعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي، إذ أن العبارة الرائقة تساهم في تحصيل ثمرة الخطابة حيث يصل الخطيب بها إلى اقناع الناس من أقرب طريق.

---

[1]- عبد القادر سيد عبد الرؤوف، أضواء على الخطابة الإسلامية، دار الكتب، القاهرة، ط 1، 2005م، ص 12.

[2]- محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ط 1، 1997م، ص 12.

4-2- خصائصها في موضوعاتها:

تمتاز الخطابة في موضوعاتها بمناسبتها الحال للجماهير، حيث تخاطب عواطفهم وتناقش ما يشغل بالهم، وتقدم الحلول لمشكلاتهم.

4-3- خصائصها في أسلوبها:

الخطابة لا تعرف شكلا واحدا من الأساليب، وإنما يختلف أسلوبها تبعا لتنوع الجمهور المتلقي.

4-4- خصائصها في معانيها:

معاني الخطابة ينبغي أن تكون مفهومة للجمهور واضحة جلية، يبينها الخطيب بحيث تدركها الأفهام بلا عناء، لهذا تبتعد عن الاغراق في المعاني أو الجنوح فيها إلى الخيال.

4-5-خصائصها في الإقناع:

الاقناع في الخطابة لازمة من لوازمها بل غرضها الأساسي الذي تدور حوله وتسعى له وهو في الخطابة أيسر وأقرب في الاقناع من غيرها من فنون القول المختلفة، لأن الخطابة حرة لا تلتزم وزنا ولا قافية كالشعر، ولا تغرق في التقسيمات الفلسفية.[1]

[1]- يسرى محمد هاني، إرشاد اللبيب إلى فن الخطابة وإعداد الخطيب، د ط، د ت، ص 47-48.

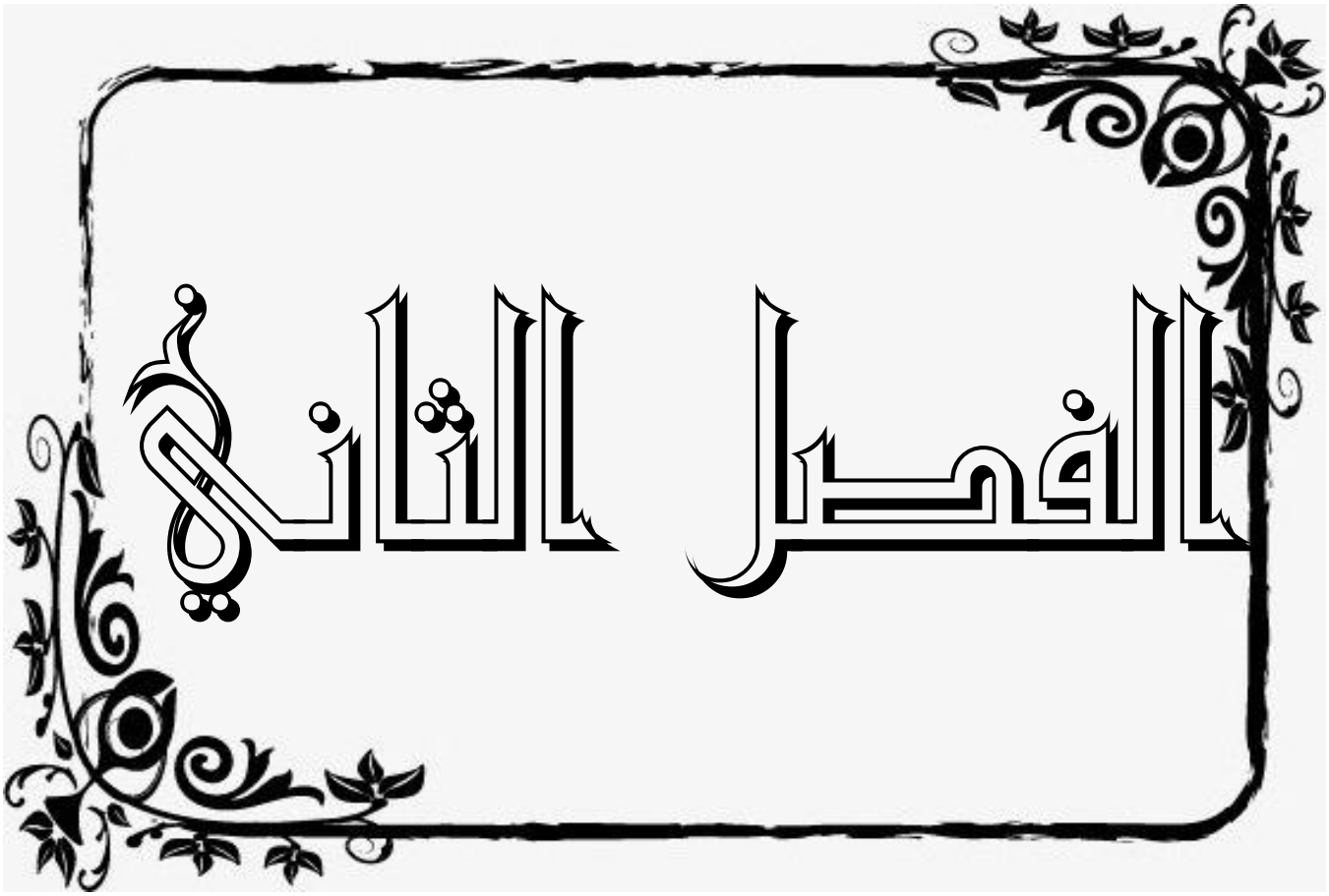
الفصل الثاني

خصائص الخطب الدينية والسياسية عند ابن باديس.

تمهيد :

إن للخصائص المعنوية والفنية في الأعمال الأدبية أهمية كبرى، إذ لا يخلو منها لون من ألوان الدرس الأدبي لما تحمله من التعبير عن القيم التي تعبر عنها عملية الإبداع الفني، وما الخطابة إلا عمل من الأعمال الفنية الأدبية التي كانت وما تزال سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، ولها عظيم الأثر في حياته، فهي جديرة بالمكانة التي تتصدرها بين الفنون الأدبية الأخرى بما تنفرد به من سمات اشتهرت بها، ففي النثر الجزائري الحديث وجدنا الخطابة قد تميزت بميزات كبيرة ونخص بالذكر الخطابة عند عبد الحميد ابن باديس شيخ وإمام الخطابة الجزائرية الحديثة، وقد تميزت خطبه بخصائص بارزة وهامة تسترعي الانتباه والوقوف عند بعضها.

المبحث الأول:

1-الالتـــــزام :

وقبل التطرق إلى هذه الخاصية في خطب ابن باديس لابد أولا من توضيح مضمونها ففكرة الالتزام في الأدب هي وليدة العصر الحاضر إذ لم تكن معروفة في نظر النقاد من قبل، إلا أن مفهومه « قد ارتبط إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه، ومدى علاقته بالحياة وبالدور الذي يقوم به الأدب في توجيه هذه الحياة ».[1]

يقصد بالالتزام في الاصطلاح الأدبي، اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة لا مجرد التسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال. [2] فالدكتور محمد غنيمي هلال يوضح ذلك قائلا : « ويراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركتها بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية والإنسانية، وفيما يعانون من آلام وما يبنون آمال ».[3]

وورد أيضا في المعجم الأدبي لجبور عبد النور : « حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير خارجي عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار»[4]

وما الخطابة في النثر الجزائري الحديث إلا لون من ألوان الفن الأدبي عبّرت تعبيرًا صادقا عن مشاعر الشعب الجزائري في جميع أحواله مما يدل على أن الخطباء كانوا يشاركون إخوانهم في مبادئهم وتطلعاتهم وكل ما يعيشونه، ولعل خطب **ابن باديس** كانت النموذج الأسمى للخطابة الجزائرية الحديثة التي تقوم على الالتزام الكامل بقيم المجتمع ويتبين ذلك من خلال ما سنعرضه من أمثلة مختارة لبعض خطب **ابن باديس** منها خطابه

[1]- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره، دار الفكر العربي، ط3، دت، ص373 .

[2]- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، 1974م، ص79.

[3]- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الشعب، القاهرة، د ط، دت، ص552.

[4]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص31.

الذي ألقاه في الاجتماع العام بنادي الترقي، يتحدث فيه عن قضايا الأمة الكثيرة التي كانت تشغل باله وبال الجمعية منها الدعوة إلى الدين والالتزام بمعالمه، وهو ما يدل على مدى التزامه بالخط المتفق عليه بين أعضاء الجمعية، ويظهر ذلك في دعوته إلى تبليغ الدين وتقوية وازعه في نفوس الأمة، وهذا ما نستشفه في قول الخطيب : « **إن جمعيتكم جمعية دينية... تدعو إلى الدين الخالص وتبينه، وتعمل لتثبيته وتقوية وازعه في نفوس الأمة فوظيفتها هي وظيفة المعلم المرشد الناصح في تعليمه وإرشاده الذي لا يبتغي من وراء عمله أجرًا ولا محمدة، وقد أراد إخوانكم رجال مجلس إدارة الجمعية- وهم حاملوا فكرة الإصلاح الديني والعاملون لها والمنفقون لأوقاتهم في سبيلها- أرادوا أن يكونوا أمثلة للأجيال المقبلة في التضحية في الثبات على الحق، في الجهر به، وكما كانوا أمثلة فقد ضربوا الأمثال بأعمالهم...**».[1]

نستشف من خلال هذا الخطاب كل معاني الإيمان ومعالم التمسك بالدين الإسلامي الحنيف ودعوة الشيخ ابن باديس أبناء وطنه إلى التحلي والاستنجاد بمقومات الإسلام، فابن باديس في وظيفته هذه كالمعلم المخلص الناصح في إرشاده، الملتزم بما يخدم صالح الشعب والوطن.

ويظهر الالتزام جليًا أيضا في خطاب آخر لابن باديس يقول فيه :

« **إنني أعاهدكم على أنني أقضي بياضي على العربية والإسلام كما قضيت سوادي عليهما، وإنها لواجبات... وإني سأقضي حياتي على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن هذا عهدي لكم.**

وأطلب منكم شيئا واحدًا وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن.

[1]- عبد الحميد ابن باديس، آثاره، إعداد وتصنيف عمار طالبي، شارع باب عزون- الجزائر، ط 3، 1997م، 144/4.

أنا زارع محبة ولكن على أساس من العدل، والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ومن اي دين كان (من كل جنس من كل دين) فاعملوا للأخوة ولكن مع كل من يعمل للأخوة فبذلك تكون الأخوة صادقة ».[1]

ففي هذا الخطاب نجد الشيخ عبد الحميد ابن باديس يعرب فيه عن مدى التزامه بالدين، وتمسكه باللغة العربية، فيعاهد إخوانه بأن تكون حياته للإسلام ويهب وقته خدمة للغة القرآن ومقوماته، داعيا إياهم إلى الأخوة وأن يكونوا رسل سلام حاثهم على الموت في سبيل الإسلام والدين، فالتزام ابن باديس لعروبته ودينه دفعه إلى النصح والتوجيه للأمة من أجل المحافظة على كيانه، والوقوف والتصدي لكل ما يعيق نشر وبث الروح الإسلامية فالخطيب مدرك حق الإدراك لما يدعوا إليه، حاثا على استنهاض الهمم، وتحريك مشاعر العروبة والإسلام، فهذه التوجيهات من الخطيب تدل على مدى التزامه بقضايا الأمة التي شغلت باله كثيرا، فهو لا يعيش لفرديته بل يسعى دومًا لإسعاد الأمة والوقوف بها.

وفي خطاب آخر أيضا يقول :

« أيها الشعب الجزائري الكريم !...

قد بينت لك جمعيتك حقيقة الموقف وحرجه، وكشفت لك شيئا مما تعانيه أنت وتعانيه هي من الأقرباء، والبعداء، وهي تدعوك إلى التبصر والتثبت والاتحاد والتنبه والتيقظ، وتحثك على الاعتماد على الله وحده، ثم على نفسك والصادقين من أبنائك، وما الصادقون إلّا الذين يحافظون بأقوالهم وأعمالهم ومواقفهم على إسلامك وعروبتك وجميع

[1]– ابن باديس، آثاره ، مصدر سابق، 4/214–215.

مقوماتك، يناضلون بالنفس والنفيس عن جميع حقوقك، وهم فيك اليوم إن شاء الله كثيرون وسيكونون أكثر والله أكبر !».[1]

فالتزام ابن باديس دفعه إلى تنبيه وتوعية أبناء وطنه حاثا إياهم على التفطن والتيقظ لما يجول حولهم ، داعيا إياهم إلى الاعتماد والتوكل على الله دون سواه، ثم الاعتماد على النفس والصادقين من أبناء الوطن، المحافظون والمتمسكون بالقول والعمل والموقف على الإسلام والعروبة، وبذلك فالتزام الشيخ جعله يصير ناصحا ومرشدا للأمة من اجل المحافظة على كيانه، الوقوف في وجه العدو الذي يسعى لمحو آثار ميراثها المتين، لذا نجده يدعو كل فرد من أفراد الأمة إلى تحمل مسؤوليته اتجاه وطنه وأن يكون أنموذجًا فذًا يقتدى به في واقع الناس ليتم دحر العدو والتغلب عليه.

2-الـــواقعيـــة :

عرف هذا المصطلح عدة تعريفات لدى الدارسين والكتاب والنقاد منها :

محمد مندور الذي عرّف الواقعيين على أنهم « **أناس شديدو الفطنة إلى ما يحيط بهم حريصون على تسجيله كما هو وتناوله بالنقد والتجريح وأميل إلى التشاؤم والحذر وسوء الظن الكوني** ».[2]

عرّفها الدكتور **عماد سليم** الخطيب على أنها « **مذهب يستمد مضمونه من الواقع**».[3]

نفهم من هذين التعريفين أن الواقعية أو الأدب الواقعي يعتبر خادما للإنسان، أي أنه يمثل الالتحام الكامل والتفاعل المتبادل بين الأدب والمجتمع، فيصوره بذلك تصويرًا دقيقا دون زيف أو زيادة.

---

[1]- ابن باديس، آثاره ، مصدر سابق، 4/360-361.

[2]- محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، د ت، ص108.

[3]- عماد سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده عرض وتوثيق وتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن،2009م، ص45.

ومن ذلك نجد أن الخطابة الجزائرية الحديثة قد جسدت دورًا كبيرا في تنشيط الحياة الثقافية والأدبية وأدت دورها الرسالي على أكمل وجه، بفضل واقعيتها وتناولها للقضايا التي تهم أفراد المجتمع في شتى جوانب حياتهم، ونشير في القول بذلك إلى الشيخ **ابن باديس** الذي تناول مواضيع واقعية تضمنتها خطبه مصورًا واقع المجتمع الجزائري وما يعيشه ويعايشه، متأثرًا بأحداثه مهتما ومتابعًا لقضاياه. يقول في خطابه المعنون بـ "**نداء إلى الأمة الجزائرية ونوابها**" يقول : « **أيتها الأمة الكريمة. أيها النواب الكرام!**

اليوم وقد آسينا من غيرنا يجب أن نثق بأنفسنا.

اليوم وقد تجوهلت قيمتنا يجب أن نعرف نحن قيمتنا.

اليوم وقد خرست الأفواه عن إجابة مطالبنا يجب أن نقول نحن كلمتنا.

اليوم وقد اتحد ماضي الاستعمار وحاضره علينا، يجب أن تتحد صفوفنا.

... أيتها الأمة الكريمة، أيها النواب الكرام.

حرام على عزتنا القومية وشرفنا الإسلامي أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيرًا عليها... ! ويسمعنا كثير منها في شخصيتنا الإسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شيء لدينا، لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها في برلمانها ولنتمسك – عن إيمان وأمل – بشخصيتنا ولنطالب بالمساواة التامة في جميع الحقوق في وطننا وأولها المساواة في المجالس النيابية ». [1]

ففي هذا الخطاب نجد ابن باديس يصور وينقل لنا واقع المجتمع الجزائري وما يعانيه من تهميش وإقصاء للحقوق ومساس في الهوية الوطنية، والشخصية الإسلامية، فإن ابن باديس عايش واقع أمته وتأثر بمجرياتها وقضاياها، فنقل بذلك صورة حية عن حياة الشعب الجزائري وما يعانيه من مظالم الاستعمار الفرنسي، الذي وقف في وجه الشعب الجزائري الذي سلب منه أدنى حقوقه.

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 3/380–381.

فإن ابن باديس كان يعالج قضايا المجتمع بواقعية وصدق فكان مراعيا لظروف مجتمعه، لا يتجاوزها بل يحاول ما استطاع أن يتعايش معها حتى تحقق مقصده بذلك، فهو رغم ما رآه من مظالم وتجاوزات في حق أبناء شعبه إلا أننا نجده عازمًا ومصرًا ومتمسكا بحبل الأمل غير آيس، داعيا الأمة الجزائرية إلى الالتحام والوقوف والتصدي للعدو الفرنسي فيحتج بذلك ويرفع صوت الحق لتغيير الوضع الذي تعيشه الأمة.

فالخطيب نجده ينطلق من الواقع لتوعية أبناء شعبه وتوجيههم إلى توحيد الصفوف وأن يكونوا يدًا واحدة حتى يقووا على كسب مطالبهم ونيل حقوقهم.

وفي هذا السياق ألقى ابن باديس خطابا بعنوان "**هل آن أوان اليأس من فرنسا**" داعيا من خلاله الشعب الجزائري إلى استعادة الثقة في النفس وعدم الاستكانة والسكوت على جبروت وخذلان وطغيان فرنسا يقول فيه :

« أما الذين ينظرون إلينا من الخارج نظر الحاكم على الأمم بما يبدو من أعمالها وسيرها فإنهم يقولون : إن فرنسا تعد وتخلف لأنها رأت مصلحتها في الإخلاف، ولا يرجى منها اقلاع عنه ما دامت تعتقد مصلحتها فيه.

والجزائر تنخدع وتطمع، ويمكن أن يطول انخداعها ويستمر طمعها ويمكن أن ينجلي لها سراب الغرور فتقلع عن الانخداع وتقطع حبل الطمع وتتصل باليأس وما يثمره اليأس ويقتضيه.

وأما نحن – الجزائريين – فإننا نعلم من أنفسنا أننا أدركنا هذا الإخلاف العرقوبي وأدركنا مغزاه وأخذ اليأس بتلابيب كثير منا وهو يكاد يعم ولا تردد في أنه قد آن أوانه ودقت ساعته... ». [1]

فابن باديس لم يبحر في أعماق الخيال بل كان واقعيا في دعوته، منطلقا من الواقع المادي المحسوس مستفيدا مما تعلمه من تجاربه وخبراته في الحياة مما أكسبه الثقة في

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ، 3/364-365.

النفس وعدم الرضوخ لإدارة الاحتلال، لذا وجدناه يثور على الواقع مصرا على التغيير وعدم الامتثال والسكوت على تسلط وقهر وخديعة العدو الفرنسي، فابن باديس يوجه رسالة إلى أبناء وطنه، هادفا من خلالها إلى إعادة تشكيل الإنسان الجزائري وعدم الانخداع والطمع في وعود فرنسان بل التمسك الواعي بمقومات الشخصية الوطنية، وهو ما يؤهله للمطالبة بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويضمن له الانتصار في المعركة الحاسمة التي سيخوضها حتميا في مواجهة الاستعمار، فقد عمل ابن باديس بحرص على أن يصل الشعب الجزائري في مرحلة ما إلى اليأس من سياسة فرنسا، وأن يشعر بالتميز عنها وأن يدرك من نفسه القدرة على مواجهتها.

فقد صور لنا ابن باديس واقع وراهن الإنسان الجزائري وما يعانيه جراء سياسة الاستعمار الفرنسي الذي خيّب آمال الجزائريين بإخلافها لوعودها ومماطلتها في الاستجابة لمطلب الشعب الجزائري، فكانت دعوة ابن باديس واضحة وصريحة للمفاصلة واليأس من مراوغات فرنسا ومناوراتها، لإبعاد الشعب الجزائري عن حقوقه المشروعة وهو ما عبّر عنه ابن باديس قائلا:

« كذب رأي السياسة وساء فألها، كلّا والله لا تسلمنا المماطلة إلى الضجر الذي يعقدنا عن العمل، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية.

أيها الشعب الجزائري ! أيها الشعب المسلم ! أيها الشعب العربي الأبي ! حذار من الذين يمنونك ويخدعونك، حذار من الذين ينومونك ويخدعونك، حذار من الذين يأتونك من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك، وملتك وإبطال دينك وملتك.

استوح الإسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك.

اعتمد على الله ثم على النفس، وسلام الله عليك ».[1]

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ،365/3.

فهي دعوة مباشرة لعموم الشعب الجزائري إلى التضحية في سبيل الوطن والحذر وعدم الائتمان والوثوق في من هم من غير دينه وملته وقوميته، بل عليه الوثوق والاتكال على الله والنفس حتى يصل إلى التغيير ويتمكن من الإصلاح والنهوض، فالخطيب مدرك كل الإدراك أهمية الإصلاح لأنه يعد الوسيلة الناجعة في تغيير الواقع المعاش فعملية التغيير تبدأ من النفس والأنا إلى الغير.

لأن واقع الجزائر يستدعي ويحتاج إلى منقذ متمكن وقادر، لكي يستطيع بذلك إحداث الوعي وحث روح العزيمة في النفوس.

وبهذا نستطيع القول أن الأدب الواقعي هو لسان حال الشعوب ومعبرًا عن آمالها وآلامها، فهو حلقة وصل بين الأديب ومجتمعه، وبذلك لا وجود لأدب واقعي ما لم يكن هناك واقع اجتماعي معيش الأمر الذي يجعل « **مستقبل الأدب مرتبط بمستقبل المجتمع ارتباطا عضويا، فحياة الأدب، وقيمة الأديب، وخلود الأدب والأديب معاً، كل ذلك متوقف على حياة المجتمع ومستقبله، وعلى مدى الصلة التي تربطه بمشاكل هذا المجتمع**». [1]

فابن باديس كان نموذجا مثاليا للرجل المصلح الذي يسعى للبناء والتشييد، فقد كان حريصا على معالجة قضايا مجتمعه وتصويرها كما هي وعلى حالها بدون زيف أو نقصان.

والخلاصة أن هاته النماذج التي وظفناها للاستدلال والبرهان في باب الواقعية والالتزام نرجو ونأمل أنها عبرت تعبيرًا كافيا عن المقصود، للقول فإن الخطابة الجزائرية الحديثة كان أصحابها ملتزمين بمقومات الأمة وقضاياها وكانوا واقعيين في المطالبة بها.

3-النزعة الدينية :

تظهر جليا النزعة الدينية والروح الإسلامية عند " ابن باديس" ويتضح ذلك من خلال خطبه التي تحمل في ثناياها مواضيع دينية، فبالرجوع إلى أصول دعوة العلماء المسلمين الجزائريين التي ترسم الخطوط العريضة للفكر الباديسي وتلخص فلسفته وتصوره لعمل

[1]- محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د ط) ،1979م، ص273.

الجمعية، نجد تأكيدًا واضحا على البعد الديني الإسلامي، متسلحا فيه "ابن باديس" بذلك بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وهدفه من ذلك تقوية الصلة بين الإنسان وخالقه حتى يتحرر من القيود وينطلق نحو التغيير. وقد استطاع "ابن باديس" من خلال خطبه الدينية إلى تبليغ رسالة هادفة إلى أبناء مجتمعه قاصدا من خلالها إصلاح واقع المجتمع الجزائري، محاولا بناء الفرد الجزائري بناءًا متكاملا، وقد ألقى ابن باديس خطبا كثيرة مثلت النزعة الدينية عنده ومن بين هذه الخطب خطبته المعنونة "**سر الضحية**" يقول فيها :

« **فهذا يوم الحج الأكبر والموسم، الأشهر، جعله الله عيدًا للمسلمين، وشرع فيه ما شرع من شعائر الدين، تزكية للنفوس وتبصرة للعقول، تحسينًا للأعمال، وتذكيرًا بعهد إمام الموحدين، وشيخ الأنبياء والمرسلين إبراهيم الخليل عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين. فقد كسر الأصنام، وحارب الوثنية، وحاج قومه وما كانوا يدعون من دون الله وقام يدعو ربه وحده طارحًا ما سواه، وحاج الملك الجبار حتى بهت الذي كفر، وقذفوا به في النار فما بالى بها ولا بهم وثبت، وصبر حتى نجاه الله وجعل الذين أرادوا به كيدا هم الأخسرين**». [1]

فكانت « هذه خطبة منبرية يتحدث فيها ابن باديس عن سر الضحية في يوم الحج الأكبر الذي جعله الله عيدًا للمسلمين وشرع فيه للبشرية ما يزكيهم ويسعدهم في دنياهم ومناسبة كبرى للتذكير بسيرة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) الذي وقف موقف العاقل المتدبر، فحاج قومه وبين لهم وجه الصواب صابرًا محتسبا أمره لله حتى نجاه الله من كيدهم وجعلهم الأخسرين». [2]

ومن هذا يمكن القول بأن الشيخ ابن باديس يطلعنا على سبب هاته المناسبة الدينية الكبرى، وهي عيد الأضحى المبارك، الذي شرعه الله للمسلمين حتى ينالوا منه الأجر

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ، 3/529–530.

[2]– عيسى بن مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص164.

والثواب، ورضا الله تعالى لما قدموه تضحية في سبيله، وأنها مناسبة دينية عظيمة للتذكير بسيرة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي احتسب لأمر الله سبحانه، وصبر على تسلط وتجبر قومه، فنجاه الله بذلك من كيدهم وطغيانهم، وجعلهم هم الأذلين الخاسرين.

وفي خطبة أخرى أيضًا لابن باديس يخص فيها قضية الصوم والإفطار في الجزائر وجدناه يوجه كلامه لعامة المسلمين الجزائريين، يحذرهم من الخلاف الذي يقع بمناسبة حلول شهر رمضان، إذ يرى أنه سببا رئيسيا في زعزعة كيان الأمة الجزائرية المسلمة واختلالها يقول فيها :

« أيها الإخوة الكرام : إن الخلاف كله شر، وشره ما كان في الدين، وأشنع أنواعه وألمها لكل ذي غيرة على دينه ما يقع كل عام بهذه الديار من اختلافكم في الصوم والإفطار.

وإن الشؤون الدينية إذا خرجت على الاعتبارات الدينية وتناولتها أيدي التعصب صارت إلى شر المصائب وكان من أثرها في الأمة الجفاء والتعادي، ثم التشتت والاختلاف ثم الوهن والانحلال ». [1]

فابن باديس في خطبته هذه يحذر من التعصب الذي يقع بسبب خلاف المسلمين حول الصيام والإفطار في رمضان، فهو ما إن يدخل أمرًا إلا أفسده وخاصة الدين، الذي يعتبر أساس الوحدة ورباط الأمة، فبذلك نجد الشيخ ابن باديس يحذر الجزائريين المسلمين منه ومن نتائجه السلبية والمهلكة لأبناء وأفراد المجتمع الجزائري.

فالاختلاف شر يورد المهالك والشرور، لذا فعلاجه ودواءه لا يتم إلا برجوع الأمة إلى دينها الإسلامي الذي هو أساس وحدتها ونجاحها، وهذا ما أشار إليه وهو يتحدث عن حالة الأمة وقت وثوقها بربها وبتطبيقها لمبادئ الدين الحنيف، فتنعم بذلك بحياتها وتجني ثمرات وحدتها يقول في ذلك :

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ، 68/6.

« ...ولكن الحسن في الشرع والجميل في الذوق هو أن يتحد الناس في الصوم فيصبحون صائمين في يوم واحد يجمعهم الخضوع لأمر الشريعة وظهور يسر الشعيرة وتلوح عليهم جميعا سمات الإجلال وآثار الجلال، ثم يصبحون مفطرين في يوم واحد مستبشرين بنعمة الله من فضل ويطوون من تاريخهم صحيفة ختامها عبادة، وينشرون منه صحيفة طفراؤها عيد وسعادة فبهذا لا بغيره نغتبط بالتآخي وتجني ثمراته ثم نورثه لأولادنا رطبا جنيا وسائغا هنيًا ».[1]

إذا فابن باديس يدعو أبناء وطنه إلى الوحدة والتوحد خاصة في أصول الدين وعدم الاختلاف فيما بينهم، لأن الاختلاف يولد التشتت والكراهية في النفوس، لذا أمرهم بتوحيد صفوفهم والوقوف موقف رجل واحد لإعلاء راية الإسلام والوقوف به، والحفاظ عليه والعمل على بقائه راسخا في القلوب، فتتحقق بذلك مقاصد الإسلام الحقيقي وتزدهر معالمه.

وتظهر أيضا وتتجلى الروح والنزعة الدينية بوضوح في خطب ابن باديس منها خطبته التي يحي فيها مناسبة جليلة وهي مولد سيد الخلق محمد "صل الله عليه وسلم" والتي أحياها الجزائريون مع كل المسلمين في أقطار المعمورة احتفالا وابتهاجا بهذه المناسبة العظيمة يقول فيها :

« لسنا وحدنا في هذا الموقف الشريف لإحياء هذه الذكرى العظيمة، بل يشاركنا فيها نحو خمسمائة مليون من البشر في أقطار المعمورة كلهم تخفق أفئدتهم فرحا وسرورًا وتخضع أرواحهم إجلالا وتعظيما لمولد سيد العالمين ». [2]

فهذه« الذكرى الخالدة شاركت فيها كل الإنسانية لأن صاحب هذه المناسبة جاء بالإسلام والذي كان سببا رئيسيا في تحرير الحقول والرقاب وبسط العدل والمساواة بين

[1]- ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ، 6/69-70.

[2]- المصدر نفسه ، 6/64.

الجميع فذاقت البشرية حلاوته واستطاعت تحقيق مقاصده في خدمة العلم والمدنية في أنحاء المعمورة ».[1]

فابن باديس يذكر الجزائريين خاصة والمسلمين عامة بمولد سيد البرايا محمد (صلى الله عليه وسلم)، الرسول الذي أرسل رحمة للعالمين حاملا رسالة الإسلام هذا الدين الجليل الذي بنوره تحررت العقول وساد العدل وانتشرت المساواة وتلاشت كل معالم الذُلِ والعبودية فازدهرت واستنارت بذلك البشرية، ويقول في ذلك :

« بل تشاركنا في موقفنا هذا الإنسانية كلها وإن لم يكن بلسان مقالها فبلسان حالها، فمن الإسلام الذي جاء به صاحب هذه الذكرى عرفت الإنسانية وضاقت حرية العقول والرقاب، ومنه عرفت وذاقت العدل على أتم معناه، ومنه عرفت وذاقت المساواة بين العباد فيما هم متساوون فيه، وبهذه الأمور العظيمة أمكن إشراك أمم كثيرة تحت راية الإسلام في خدمة العلم والمدنية حتى ازدهرت رياضها وسمت صروحها في الشرق والغرب واغترفت من معانيها أبناء الإنسانية جمعاء».[2]

وأخيرًا نخلص إلى القول أن هاته الخطب الدينية التي سقناها للاستدلال على أن ابن باديس كان ذا نزعة دينية قوية، ويكمن سبب هاته الروح الدينية القوية لديه، في تنشئته وتربيته وسط أسرة مسلمة محافظة، واستقاءه للعلم من يد كبار علماء الدين واتصاله بهم وكذا تعليمه في جامع الزيتونة وأيضًا علاقته المتينة والقوية بالبشير الإبراهيمي الذي يعد مثالا حيًا عن رجل الدين والمتمسك بعروبته وإسلامه، فكل هذه الأمور غرست في عروق ابن باديس روحا دينية إسلامية، فقد كان عفيفًا زاهدًا في دنياه، مدافعا عن دينه، ثائرا في وجه أعداء الإسلام والمسلمين، وهذا ما لمحناه في خطبه والتي كان من مقاصدها إحياء

[1]– عيسى بن مدور، الخطابة في النشر الجزائري موضوعاتها وخصائصها، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص161.

[2]– ابن باديس، آثاره ، مصدر سابق، 47/6.

الدين الإسلامي الحنيف في نفوس وقلوب الجزائريين، وبناء إنسان جزائري مسلم بناءًا متكاملا.

المبحث الثاني:

البناء اللغوي:

سنحاول ولوج هذه الدراسة من منطلق أن الخطاب الأدبي يتكون من مضمون وشكل أو من مظهر وجوهر، أو من صورة وإطار، وكلها ثنائيات مرتبطة ببعضها ارتباط الروح بالجسد، ولا يمكن فصل إحداهما عن الآخر بأي حال من الأحوال، لأنها تشكل في إتحادها ثنائية الإبداع الأدبي الذي يفقد قيمته سواء الأدبية أو الفنية إذا انفصل جزء من هذه الثنائية عن الآخر.

ويجدر بنا أن نقف أولا عند روافد هذه اللغة الباديسية التي دفعت بابن باديس إلى مستوى البراعة، ووضعته في مرتبة الأدباء البلغاء لنستجلي بها براعته في تسخير اللغة لخدمة أفكاره واحتواء معانيها لتحقيق أغراضه ومقاصده التي يروم لإيصالها. قبل التطرق لهذه الخاصية في خطب ابن باديس لابد أولًا من تحديد مفهومها.

1-اللغة:

تعد اللغة وسيلة حتمية للحياة، إذ بدونها لا يتم التواصل بين الناس وقد عرّفها ابن جني بأنها « **أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم** »[1] ويظهر ذلك في شتى مجالات الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية... .

كما تعرف اللغة أيضا بأنها :« **نظام اجتماعي فكري يشرح العلاقات الاعتباطية بين الرمز والمعنى... وأنها نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية... فهي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني لتدركها الأذن وليستعان بها على توصيل دلالات اصطلاحية**».[2]

---

[1]- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 33/1.

[2]- محمد المصري، مجد البرازي، اللغة العربية دراسات تطبيقية، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص34.

« أما عن العلاقة بالعمل الأدبي فهي بمثابة الروح للجسد، إذ لا يمكن الفصل بينهما لذا تعد عنصرًا من العناصر المهمة في التعبير الفني، وقد اعتبرها كثير من النقاد في عصرنا الحاضر وسيلة الأديب للتعبير والإبداع».[1]

من هذا تغدو اللغة وسيلة للتعبير والتوصيل لدى الخطيب أو الأديب عن تجربته في الحياة، من خلال مجموعة من الخصائص اللفظية والعقلية والوجدانية وذلك بأسلوب يعكس شخصية الأديب بحيث تكون اللغة بذلك مرآة عاكسة لفكره ووجدانه.

فبعد هذا العرض الموجز لمسألة اللغة، يجمل بنا الآن الشروع في دراسة بعض خصائص لغة الخطابة في النثر الجزائري لدى ابن باديس محاولين تتبعها من خلال بعض النماذج المختارة لبعض خطبه ونبدأ في ذلك بـ :

1-1- السهولة والمباشرة :

كانت لغة ابن باديس لغة سهلة مباشرة خالية من التعقيد، فهمه لم يكن إبراز براعته اللغوية بقدر ما كان كل همه توصيل آرائه والوقوف على المقاصد مباشرة، لذا فقد كان تعامله مع اللغة تعاملا مباشرًا، وهذا ما لمحناه في خطبه منها قوله في الخطاب الذي ألقاه في الاجتماع العام بنادي الترقي :

« **أيها الإخوان : سأعرض عليكم في هذا الخطاب حالة الجمعية في السنة الماضية وأعمالها والحالة الحاضرة، وموقفها فيها وما تنويه من الأعمال في المستقبل بإعانة الله. فأما السنة الماضية فقد كانت منشطرة إلى شطرين، فأما الشطر الأول فقد أوفدت الجمعية من رجالها للوعظ والإرشاد وفودًا لبلدان القطر في العملات الثلاث، وقامت تلك الوفود بمهمتها خير قيام وكانت تتلقى من رجال الحكومة كما تتلقى من الأمة بكل إكرام، أما الشطر الثاني منها وهو الذي يبتدئ بصدور قرار منع العلماء من الوعظ والإرشاد**

[1]- عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص201.

بالمساجد، فقد كان شطر بلاء وعناء على الجمعية ورجال مجلس إدارتها فمن تذمر وجرم إلى إلصاق التهم، إلى خلق عراقيل إلى استثمار ذمم، ومن وعد وترغيب إلى وعيد وترهيب، كل هذا والجمعية، ورجال مجلس إدارتها ثابتون ثبوت الجبال ثقة من أنفسهم بأنهم دعاة حق وقصاد خير، وعمال لصالح هذا الوطن».[1]

الخطيب في كلامه هذا استطاع أن ينقل لنا صورة واضحة عن حال الجمعية وما قدمته من أعمال رفيعة للأمة رغم العوائق التي اعترضت سبيلهم وتصدت لهم، وفي هذا كله وجدناه قد ابتعد عن الغرابة و العجمية في لغته، فجاءت بذلك سهلة مباشرة وهذا ما لاحظناه في بناء الخطبة، إذ لم يبذل جهدًا وعناءًا في اختيار ألفاظها وتراكيبها، فهو من ذلك لم يقصد إظهار براعته اللغوية بقدر ما كان همه الوقوف على الغاية المنشودة وهي إبراز الحقيقة للمتلقي وتبيانها.

ونلمح أيضا السهولة في لغة ابن باديس في خطابه بعنوان "**دعوة وبيان إلى عموم الشعب الجزائري الكريم**" يقول فيه :

« إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلم ما تجتازه الأمة في طريق نهضتها من وقت حرج، ومصاعب جمة، وما يحف بها من أخطار، وما ينصب لها من عراقيل، وما يتجاذبها من عوامل التفريق، من الخارج ومن الداخل، وإن الجمعية التي بنت روح النهضة في الأمة بما دعت إليه من الرجوع إلى الكتاب والسنة والمحافظة على الجنس واللغة، والاعتزاز بالإسلام والعروبة حتى عرفت الأمة نفسها، ووجهت للحياة السعيدة رغبتها، ووجد السبيل إلى مخاطبتها وتفهيمها من أراد – الحق أو الباطل – قيادتها أن الجمعية التي بثت هذه النهضة هي حارستها في جميع أطوارها والمدافعة عنها بكل ما لديها، والصابرة على البلاء من القريب والبعيد في سبيلها». [2]

[1]– ابن باديس ، آثاره، مصدرسابق،162/1–163.

[2]– المصدر نفسه، 359/3.

فالقارئ والمتمعن لكلام الخطيب يلحظ بوضوح التحرر البارز من صفات الفخامة في الكلمات وغرابة الانتقاء، وصعوبة النطق إلى تفعيل لغة سهلة مباشرة، وربما السبب في ذلك يعود إلى أن الشيخ ابن باديس وبانتمائه إلى جمعية العلماء المسلمين كان هدفه ودوره الأساسي بذلك هو الإصلاح والنهوض بالأمة الجزائرية وتوعيتها والدفاع عنها والتصدي والوقوف في وجه كل من يسعى إلى تشتيتها وزعزعة كيانها وقوميتها، وهذا الظرف له لغته الخاصة تتفق وهدفه المنشود، فجاء خطابه مخاطبا للنفوس مباشرة دون تعميق أو تعقيد أو بحث عن حجة أو دليل لإقناع السامعين.

فمثل هذه اللغة لها أثرها البالغ والقوي على المتلقي، وبخاصة في مثل تلك الظروف التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك، إذ أن الراهن المعيش يستدعي ذلك، ولكن هذا لا يعني أن لغة ابن باديس لغة محتواه على مظاهر لفظية غير مناسبة بل العكس من ذلك، فإذا تأملنا ما ورد في الخطبة وجدنا تراكيبها ومفرداتها أدت المعنى المطلوب. إذ أن الخطيب يريد بهذه اللغة المتسمة بالسهولة والمباشرة البعيدة عن الغموض واللاوضوح إلى إثارة مشاعر المتلقين وتقوية عزيمتهم.

وبهذا يمكن القول ومن خلال النماذج المختارة، أن لغة ابن باديس اتسمت بالوضوح والسهولة وذلك حتى يوصل أفكاره إلى المتلقين في قالب لغوي واضح سهل.

1-2- التقريرية الوصفية :

الملاحظ أيضا على خطب ابن باديس أنها كانت ذات لغة تقريرية وصفية، ففي عبارة عن تسجيل لأحداث تاريخية عاشها الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي يقول ابن باديس في خطاب لـه :

« أيها الإخوان : ها هي السنة الثالثة للجمعية قد مضت فماذا عملت الجمعية فيها؟ أين بلغ أثرها؟ وماذا لقيت فيها الجمعية من الله تعالى ومن الناس؟

نشرت الجمعية صحيفة السنة [فصحيفة الشريعة فصحيفة الصراط فلقيت كلها من الأمة الإقبال والرواج ما لم تلقه صحيفة من قبلها، وما أحبها المؤمنون حتى أحبها الله ولا يوضع الحب في الأرض حتى يوضع في السماء، ولكنها لقيت من ناحية إدارية خاصة البغض والتنكر والاضطهاد فسقطت الصحيفة الأولى والثانية ثم الثالثة، وقررت تعطيل الثالثة بمنع الجمعية من إصدار أي صحيفة منعًا سيبقى لطخة سوداء في جبين حرية القول والتفكير في تاريخ الصحافة في القرن العشرين الذي يسمونه عصر الحرية والنور]». [1]

فحين نتأمل هذه الخطبة ونقرأ قول الخطيب نشعر وكأننا نتصفح كتابا تاريخيا نقل لنا أحداث ووقائع تلك الفترة فهنا يتعلق الأمر بصحف الجمعية وما لاقته من رواج وإقبال كبيرين من محبيها، وفي مقابل ذلك وجدنا أن صحف الجمعية لاقت بعض الاستنكار والتمرد عليها من قبل السلطات الفرنسية، فورد هذا كله ضمن لغة تقريرية وصفية استطاعت أن تنقل لنا صورة حية وواقعية عن هاته الصحف وموقف الإدارة الفرنسية منها، وتصديها ووقوفها كحاجز في وجه حرية القول والفكر في الجزائر، فجاءت بذلك لغة هذه الخطبة معبرة معانة الشعب الجزائري واضطهاده ومنعه من أبسط حقوقه.

وفي نفس السياق وفي خطاب ألقاه الشيخ ابن باديس والذي تناول فيه الحديث عن الجمعية (جمعية العلماء المسلمين) وما آلت إليه وما لاقته من رفض وطغيان من قبل المستعمر وكل الحاقدين عليها يقول في ذلك :

« ولقد ولدت الأيام الجارية والظروف الحاضرة مقاومين جددًا ينطحون صخرتها برؤوسهم الحاسرة وينحتون أثلتها بأظافرهم المتآكلة ويضربون على نغمات من تقدمهم من أعداء الأمة والجمعية ويخدمون على علم أو عن غير علم، مقاصد من يحاربون في الجمعية روح الإسلام والعروبة، فهناك في عمالة قسنطينة وهنا بعمالة الجزائر من يعملون

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 176/4.

لرفع أنفسهم بالحط من الجمعية ويموهون على الأمة بما يقولون عليها وعلى رجالها غمرة يربطون الجمعية بحزب من الأحزاب الأجنبية، والجمعية لا تنتمي لحزب ولا تعادي حزبا إلا من حارب الإسلام والعروبة فإنها تكون عليه – كائنا من كان – بلاء وحربًا، ومرة يتهمونها بالتدخل في السياسة والجمعية ما تدخلت في سياسة الكراسي والنيابات والمكاتب والممرات... وإنما وقفت الجمعية في مؤتمر الأمة تضع مطالب الدين واللغة وشروط المحافظة على الجنسية والشخصية.

ومثلت ذلك كله بلسانها وهيئتها أصدق تمثيل ». [1]

ما يلاحظ على لغة هذه الخطبة أنها لغة تقريرية وصفية عبّر بها الخطيب صدق عاطفته، واستطاع من خلالها أن يصف لنا حالة الجمعية جرّاء تمرد أعدائها وأعداء الأمة عليها الذين يحاربون الإسلام والعروبة ويسعون إلى تشتيت كيان الأمة، والحط من قيمة الجمعية وتمويه الأمة بنشرهم لأقاويل وأكاذيب ضدها، ويبدو أن تعامل الخطيب بهذه اللغة يرجع إلى مراجعة نفسه، والتصدي والوقوف في وجه أعداء الأمة، وبث روح الإسلام والعروبة لدى الشعب الجزائري، ولرد مكائد ومظالم الاستعمار.

وما يمكن أيضا اعتباره تمكن ابن باديس من التعبير الحي والتصوير المباشر لواقع أمته، ومدى تعامله معه وما يعيشه من تسلط وتجبر المستعمر على الشعب الجزائري.

ونلمح أيضا ملامح اللغة التقريرية الوصفية لدى ابن باديس في خطاب ألقاه على الشعب الجزائري يدعوهم فيه إلى اليأس من فرنسا ووعودها الكاذبة يقول في ذلك :

« ... أيتها الأمة الكريمة، أيها النواب الكرام !

بمحضر الوفد كله بوزارة الحربية من السنة الماضية – قال لنا دالاديه وزير الحربية – رئيس الحزب الجمهوري الراديكالي سوسياليست : أقول لكم بكل صراحة " إني

[1]– ابن باديس، اثاره ، مصدر سابق ،360/3.

أعارض كل المعارضة في إعطائكم النيابة البرلمانية ما دمتم على حالتكم الشخصية الإسلامية".

من ذلك الحين تحققت أن هذه النيابة البرلمانية ميئوس منها، وقد أشرت إلى هذا فيما كتبته عن الوفد بعد رجوعنا في مجلة "الشهاب" وها هي الأيام جاءت محققة ذلك اليأس، وها هي الجزائر اليوم تنشد بلسان حالها قول الشاعر العربي :

أزمعت يأسًا مبنيًا من نوالكم

ولن ترى طاردًا للحُرِّ كاليأْس ». [1]

إذا قرأنا بإمعان قول الخطيب نلاحظ نقله الصادق لمجريات الأحداث في الواقع المعيش للشعب الجزائري، فنجد أن ابن باديس يصف لنا السياسة الاستعمارية ووعودها الكاذبة فجاءت بذلك لغة خطابه لغة تقريرية وصفية، استطاع من خلالها منح صورة واضحة وبارزة للمتلقي « وهذا ما لاحظناه عند غالبية الخطباء الجزائريين لتمكنهم من أصول اللغة الأمر الذي جعل وصفهم للواقع ينبض بالإشراف والحيوية، وهذا يؤثر إيجابا في السامع وينقله إلـى المواجهة والنهوض ضد المحتل المغتصب».[2]

وعلى ذلك فابن باديس من خلال لغته هذه استطاع أن يعطينا حقيقة من حقائق الإدارة الفرنسية المخلفة لوعودها، الموهمة للشعب الجزائري بتحقيق مطالبه، فالخطيب سما بلغته إلى مستوى فني رفيع فجعلها موحية بأحاسيسه جرَّاء ما يؤلمه من واقع مرير يعيشه الجزائري من تهميش وحرمان، فحديث الشيخ عن خذلان وأكاذيب فرنسا وتمردها على الإسلام والعروبة يوحي لنا بمدى تمسكه بوطنه والدفاع عنه ودعوته إلى اليأس من فرنسا ومن وعودها، فهذا الإحساس وتلك الروح الوطنية زادت في إشعاع لغة الخطيب وتعبيرها عن مدى ارتباطه بإخوانه وأبناء وطنه، ويمكن القول أن هذا كله جاء بتعامله مع اللّغة

[1]– ابن باديس، مصدر سابق، 371/3

[2]– الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها خصائصها، رسالة دكتوراه ، مرجع سابق، ص209

التقريرية الوصفية، الأمر الذي يجعل السمع يتفاعل من النص ويتأثر به فيبث في نفسه روح العزيمة والتصدي لمكائد العدو الفرنسي، وبذلك يكون قد نقل لنا صورة حية عن واقع أمته في عبارات بسيطة، لكن تحمل في ثناياها جل معاني الإشفاق والتطلع إلى التغيير الذي يعد من أسمى الواجبات، فحال الأمة يستدعي العودة إلى الذات واستنهاض الهمم، ومعرفة موقع الداء ليتم العلاج، فهو هنا يثير في المتلقي استشعاره بروح المسؤولية والاعتماد والاتكال على النفس.

ومن ذلك يمكن القول أن هاته اللغة التقريرية الوصفية التي استعملها الخطيب يمكن اعتبارها أداة ووسيلة لنقل الأفكار وإيصالها إلى المتلقي ودعوته إلى مراجعة الذات إلى جانب ما يمكن اعتباره تمكنًا واضحًا من التعبير المباشر والتصوير الواقعي للمجتمع، فكانت لغة وصفية تحررت من أسلوب الفخامة في الألفاظ والغرابة في الانتقاء والصعوبة في المنطق فجاءت واضحة عبرت تعبيرًا دقيقا عن راهن معيش ونقلت أحداثه نقلا أمينًا وهذه هي غاية الخطيب لينقل ويوصل رسالته.

1-3- المصطلحات الدينية:

ما نلاحظه أيضا على لغة خطاب ابن باديس نجد أنها تمثلت الدين الإسلامي وفكره وهذا ليس أمرا يدعو للشك في مثل هذا الخطيب الذي تشبع بروح الإسلام منذ الصغر ونهل من ينبوعه.

فحين نتأمل كتابات ابن باديس وبخاصة الخطابة منها، نلاحظ أنه استسقى واستلهم عناصرها من العقيدة الإسلامية التي امتزجت بها امتزاجا كبيرًا فأشرقت ألفاظها واستنارت معانيها بروح القرآن الكريم، وهذا أمر طبيعي في ذلك لكثرة دراسته له والعمل بآياته كونه رجل إصلاح، إذ نادرًا ما نجد خطبة له تخلو من معاني القرآن أو روح الإسلام، وهذه بعض الشواهد التي تأتي دليلا على ما نقول.

« ... ليس الإنسان مطبوعًا على الخير فقط، ولا على الشر فقط، ولا صقيلا غير مطبوع على شيء بل هو بجزئه الروحي النوراني خير محض، ولكن باتصال ذلك الجزء الروحي بهذا الجزء الترابي تكونت غرائزه، فكانت منها أصول خير وأصول شر، ونهضة هذه الغرائز بمقاومة ما فيه من أصول شر، وإنما ما فيه من أصول خير، والقرآن – يا سادة – معلم أخلاقي عظيم، فقد تضمنت آياته ذكر أصول الخير وما ينميها، وذكر اصول الشر وما يميتها وينحيها، وكل ما يزكي النفس وما يدسيها، ببيان منافع طريقه تلكلتركب، ومضار طرائق هذه لتجتنب».[1]

نلاحظ على لغة الخطيب التي وردت في هذه الخطبة أنها لغة متشبعة بمعاني الدين الإسلامي مما جعل في نص الخطبة سمات دالة على تفهم ابن باديس للقرآن الكريم والنهل من ينبوعه.

فلو تمعنا أغلب الأفكار المطروحة التي عبر عنها الخطيب لوجدناها تلتقي بمقاصد القرآن الكريم، ولعل ذلك يرجع إلى ثقافته القائمة على الاستقاء والأخذ من بحره، وهذا ما نلحظه من خلال قوله السابق الذكر المستنبط مما يقرؤه من القرآن، غير أنّ هذا التأثر لم يكن عن طريق الاقتباس مباشرة وإنما بتمثل الدين الإسلامي وفكره، غير أننا نجد أحيانا ينغمس أكثر في تمثيله للقرآن الكريم كقوله : « **وكل من يزكي النفس وما يدسيها** ». وهو مأخوذ من قوله تعالى : « **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا وَقَدْ خَبَ مَنْ دَسَّهَا (10)**».[2]

فالشيخ ابن باديس استولت على نفسه الروح الإسلامية فملكت روحه فتركت فيه أثرًا واضحًا جليًا، وقد اعتمد الخطيب هذه الأفكار المستوحاة من الدين الإسلامي في لغته عمدًا لما للدين من أثر كبير في نفوس المتلقين، فجاءت معانيه تعبيرية موحية توقظ القارئ

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ، 48/4.

[2]– سورة الشمس، آية 7–10

وترشده إلى فعل ما يرضي الله وترك المعاصي وتجنب كل ما يؤدي به إلى طريق غير مستقيم.

وتتجلى أيضا الروح الإسلامية في خطب ابن باديس تجليًا واضحا في قوله :

« أيها الجزائري التاريخي القديم، المسلم الصميم، كلمته من كلمة الله، وإرادته من إرادة الله، وقوته من قوة الله، أو لست منذ شهر كونت مؤتمرًا كما ينبغي أن يكون جلالا وروعة، فذلك مجلى إرادتك ومظهر قوتك، وكونت هذا الوفد الكريم فحملته مطالبك فاصطلح بها وأدى الأمانة في ثمانية أيام، وهي لا تؤدي إلا في إضعاف ذلك من الأيام وفد لعمر الله مثلك في قوتك وإرادتك وحياتك وكرمك، وفد متحد متعاون، متساند زار الوزارات والأحزاب وأرباب الصحف، فعرفك إليها ورفع إليك صوتك، ولقد كدت تكون أيها الشعب مجهولا عندهم تمام الجهل، لكن بأعمالك العظيمة وبما قام به الوفد صرت معلومًا لدى من يعرف الحق ويحترم الكريم وينصف المظلوم.

أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية وهائم بها، تلك الحرية التي ما فرقت قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها وكيف نحيا ونموت لأجلها... ». [1]

إذا تأملنا هذه الخطبة لابن باديس ورغم كونها سياسة، إلا أنها حملت في ثناياها معاني وعبارات دالة على الروح الإسلامية للخطيب، فوجدناه يخاطب الشعب الجزائري المسلم العربي، الذي كان مثالا للمسلم المتمسك بتعاليم دينه ناهلا من عقيدته مثالا للمسلم الرافع لراية الإسلام مدافعا عن الحق، فجاءت معانيها معاني تعبيرية موحية تجسد خصال الجزائري الأبي، فأتت بذلك لغة الخطبة مصورة منهج ابن باديس الإسلامي وفكره، ففاضت ينابيعه مصورة عقيدته الراسخة فكانت بحرًا يغرف منه أفاره، فأشرقت بذلك لغته ألفاظ ومعاني قرآنية، فهذا ليس بعيد عن ابن باديس وذلك لكثرة دراسته للقرآن وتعاليمه والأخذ منه

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ،131/3.

والتمثل بآياته وسلوكه لتحقيق ما يرمي إليه وهو إصلاح كيان الأمة الجزائرية وتثبيت الروح الإسلامية والقرآن في ذاتها.

وفي خطبة أخرى للشيخ يتحدث فيه عن الجمعية وعن فضائلها على الأمة الجزائرية وما قامت به من أعمال جليلة لصالح المجتمع فكانت بمثابة المرشد المصلح لمن ظل السبيل يقول فيها :

« ... **أيها الإخوان، إن جمعيتكم جامعة للناس فيما تفرقوا فيه من دين الله ومعادية لهم فيما ظلوا من سبيله وقد عرف الناس حقيقتها ولكن نجا أقوام وهلك آخرون وإذا كان في استطاعة الجمعية أن تعظ وترشد فليس في استطاعتها أن تخلق التوفيق في نفوس كتب لها الضلال وما التوفيق إلا من الله، وإن جمعيتكم هذه من الأمة وإلى الأمة وكل ما لها أو عليها فهو للأمة وعليها، وإنما قام بحمل أمانتها إخوانكم أعضاء مجلس الإدارة فقاموا بواجب أشهد بثقله وأشهد بأنهم قاموا به خير قيام وأنهم لا يرجون من الأمة إلا أن تعرف ما يدعون إليه من بصيرة إنما يدعونها إلى واضح لا إلى مشتبه، وإلى حق لا إلى باطل، وإلى هدى لا إلى ظلال وإنما يدعونها إلى الأعلام الهادية من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)** ». [1]

ما نلاحظه في قول الخطيب شيوع أفكار إسلامية، وهذا إن دل على شيء دل دلالة واضحة على تمسكه بتعاليم دينه، فجاءت بذلك لغة خطابه مشحونة بعبارات روحية إسلامية، فنجد أن ابن باديس في خطابه هذا يحث الأمة الجزائرية على الإقتداء والاتكال على الجمعية وما تقوم به، فهي جمعية تعمل بأوامر الله وتلتزم بشرعه، فهي جامعة للذين تفرقوا في دين الله، وهادية لمن أضلوا السبيل، وواعظة ومرشدة داعية للحق ولكتاب الله وسنة نبيه الكريم، وهذا ما يدفعنا للقول أن الخطيب كان قوي الصلة بالقرآن الكريم، مما جعله يتأثر بلغته وأسلوبه، الأمر الذي جعله يتمثله لتحقيق مقاصده.

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق ،524/3.

فالأوضاع التي تعيشها الجزائر آنذاك أوضاع أفسدها الاستعمار، وطغى عليها فجرى الخلاف وتفرقت الكلمة، لكن هناك نداء مجيد يدعوها إلى إعادة النظر ومراجعة الذات، ونبذ كل هاته المكائد التي وضعتها فرنسا للتفرقة بين أبناء الوطن، والإقبال على مساندة ودعم جمعية العلماء والسير على منوالها فهي بمثابة المصلح الديني للأمة، والعاملة على إنقاذ المجتمع من الشرور والمهالك، لذا علا صوت الخطيب وسَمَا داعيًا إلى مؤازرتها ودعمها من أجل النهوض بالأمة وتحرير عقولها من قيود الاستعمار.

وبهذا يمكن القول ومن خلال هاته النماذج التي سقناها للاستدلال على لغة خطاب ابن باديس أنها تمثلت الروح الإسلامية واستقت ألفاظها من معانيه وهذا دليل على الروح الإسلامية للشيخ ونهله الكبير من ينابيع القرآن الكريم.

1-4- التراكيب :

لقد تعددت مفاهيم التراكيب من قبل البلاغيين إلى أنها كلها تصب في معنى لغوي واحد أن : « **التركيب مبدأ عقلي فكري يحقق تشكيل المعاني وبنائها لأن المعاني ليست لك. حيث تسمع بأذنك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رؤيتك وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك**».[1]

نفهم من هذا القول أن التراكيب عبارة عن كل ما يتألف منه الكلام من ألفاظ وعبارات ومعاني وما إلى ذلك، وحسن التركيب يحقق الهدف المنشود ألا وهو خروج المعني في أبهى حلة فيعمل عمله في التأثير في نفوس المتلقين، وتعمل كذا على الإدراك والفهم.

ومن خلال خطب ابن باديس وجدنا أنها مكونة من مكونات بسيطة واضحة موجزة تؤدي غرضها البلاغي وتوّفيه، بحيث اندمج الشكل بالمعنى اندماجا كبيرا.

[1]- عبد الجليل عشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012م، ص58.

فجاءت تراكيب الخطبة تنم عن قدرة بلاغية عالية، وهذه القدرة البلاغية انعكست في صنعته لهذه التراكيب، فالمبنى عنده ملازم للمعنى، جاءت تراكيبه مسبوكة واضحة، بحيث كانت كل جملة مكونة للتراكيب متنافسة مع سابقتها ولاحقتها.

اتسمت كذلك التراكيب بالوضوح والانسجام التام بين الألفاظ ومعانيها وأغراضها مما أكسبها رنة موسيقية ووقعا آسرا في الأذن مثل قوله السابق الذكر :

« **أيها الشعب الجزائري! أيها الشعب المسلم! أيها الشعب العربي الأبي!**

حذار من الذين يمنونك ويخدعونك، حذار من الذين ينومونك ويخدعونك، حذار من الذين يأتونك من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك وملتك وإبطال دينك وملتك...».

1-5- الحقول الدلالية :

تدور ألفاظ خطب ابن باديس حول عدة حقول دلالية منها :

أ- حقل الترغيب :

وظف ابن باديس الكثير من معاني الترغيب، لأنه يسعى أساسا إلى توجيه النفوس الوجهة الصحيحة التي تنسجم مع طموحات وغايات كل جزائري مسلم حر، يمجد تراثه ويحافظ على هويته المهددة بالطمس والزوال، ويحافظ على أصالته وأرومته، نلمس ذلك في قوله: **اعتمد على الله ثم على النفس، استوح الإسلام ثم استوح تاريخك، أطلب منكم شيئا واحدًا وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن، فاعملوا للأخوة ولكن مع كل من يعمل للأخوة...** كلها عبارات من الخطيب للمتلقين يرغبهم في التمسك بدين الله وكتابه ولغته والتآخي فيما بينهم.

ب- حقل الترهيب :

فإذا كان ابن باديس قد دعا إلى معاني الترغيب آنفا من جهة، فهو من جهة أخرى لم يغفل أسلوب الترهيب ليكون منسجما مع دعوته التي تقوم أساسا على الترغيب والترهيب مثل: « حذار من الذين يمنونك ويخدعونك، حذار من الذين ينومونك ويخدعونك، حذار من الذين يأتونك من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك وملتك».

ابن باديس يحذر الجزائريين من ائتمان فرنسا وعم الوثوق فيها، ويحذرهم أيضا من مَنْ ليسوا على دينهم وملتهم وتاريخهم وقوميتهم.

ج- الحقل الديني :

أما ما يخص هذا الحقل فهو مقيد بمرجعية ابن باديس التي يعد الدين أحد مرتكزاتها الأصيلة، وأركانها المكينة، فدعوة الجمعية تهدف إلى التمسك بالدين والتقيد بمبادئه والأخلاق التي يدعو إليها، ولهذا وجدنا سيطرة هذا الحقل على غيره وهذا واضح جلي في خطب ابن باديس، حيث نلمس ألفاظا ومفردات كثيرة تشير إلى الحقل منها :

الخير، الشر، الثواب، هداية، ضلال، حق، باطل، الكتاب، القرآن، المسلم، الأمانة آياته، الشريعة، المؤمنون، الصراط، الإسلام، الصابرة، البلاء، أجرًا، محمدة، الإصلاح الديني، الشرع، الصوم، الإفطار، الحج، نعمة، الصادقين...

وشيوع هذه الألفاظ الدينية وكثرتها في خطب ابن باديس تدل دلالة كبيرة على تمسكه بالدين الإسلامي وحرصه على الامتثال لما أمر الله به اجتناب ما نهى عنه، وتبليغ ذلك وإيصاله إلى المتلقين وتذكيرهم بمنهاج الأولين والدعوة إلى إتباعهم والاحتكام إلى كتاب الله وسنة نبيه (صل الله عليه وسلم) في كل ما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم.

د- الحقل السياسي :

وظف ابن باديس ألفاظ وكلمات سياسية كثيرة في نصوصه الخطابية لأنها تنسجم مع دعوة ابن باديس، فالشعب الجزائري يسعى إلى استعادة حريته، والحصول على حقوقه كاملة غير منقوصة نذكر منها :

الوفود، الاستعمار، مجلس إدارتها، الوطن، الحرية، الثورة، الأحزاب، الحزب الجمهوري، البرلمانية، عمالة قسنطينة، سياسة الكراسي، النيابات، المكاتب، المؤتمر الجنسية، هيئتها، إدارية، النواب...

2- الأسلوب :

اختلفت تعريفات الأسلوب في الأدب العربي باختلاف العصور، ومن ضمن أهم هذه التعريفات

« أنه منحى الكاتب العام أو الشاعر وطريقته في التأليف والتعبير والنظم والتفكير والإحساس على السواء ». [1]

وعرفه الدكتور عبد المطلب مصطفى بقوله :

« هو الطريقة الفنية التي يتبعها الأديب في التعبير عمّا يجول في أعماقه من أحاسيس، بحيث ينظم عباراته تنظيمًا خاصًا كي يتمكن بذلك من نقل ما في داخله إلى قرائه فيفهم ويؤثر». [2]

[1]- حميد آدم ثويني، منهج النقد عند العرب، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص120

[2]- محمد عبد المطلب مصطفى، اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص124

أي أن الأسلوب يتكأ ويستند إلى الجانب الجمالي في التعبير عما يجري داخل النفس فترد العبارات منظمة انتظامًا خاصًا، حتى يتمكن الأديب من نقل أفكاره إلى المتلقي ويؤثر فيهم.

ومن الغربيين عرفه مارسيل بروست بقوله :

« أن الأسلوب ليس بأي حال نوعا من الزينة أو زخرفا لها كما يعتقد بعض الناس كما أنه ليس مسألة (تكنيك) إنه مثل اللون في الرسم، إنه خاصية الرؤية التي تكشف عن العالم الخاص الذي يراه كل منا ولا يراه غيره ». [1]

فالأسلوب عنده بمثابة ذلك اللون المزهر الذي يخالط ألوان اللوحة فينسجم معها ويساهم بذلك في تشكيلها وإخراجها رسمًا مميزًا حسنًا يعبر عن رؤى خاصة للكون.

وحديثنا عن الأسلوب ينصب خاصة على العمل الأدبي وتحديدًا منه الخطابة عند ابن باديس والتي تعتبر ذات صلة كبيرة بعوالم النفس الإنسانية، وما يجري حولها من مؤثرات خارجية.

ومن هنا وجب علينا أن نقف عند بعض النصوص الخطابية لابن باديس لنستبين أنواع أساليبها، نظرًا بأن هذه الأساليب الخطابية تتفرد بمميزات دون غيرها من أساليب الفنون الأخرى، لأنها تستقي وتستمد روحها من طبيعة هذا الفن الذي يشمل الإقناع والاستمالة، فجاء أسلوب خطب ابن باديس متنوعا يثير العاطفة وينمي العقول ويحرك الكيان ليصل إلى رفع الهمم وشحذ العزيمة.

فأسلوب ابن باديس الخطابي وجدناه متنوعا ومختلفا باختلاف الموضوعات فنقف بذلك عند بعض هذه الأساليب لنوضح مقصدها في النصوص الخطابية.

[1]– سمير ابو حمدان، الإبلاغية في اللغة العربية، منشورات عويدات ، بيروت، باريس، ط1، 1991م، ص34.

2-1- الوضـوح :

يتميز أسلوب ابن باديس الخطابي بسهولة عباراته ووضوح معناه وهذا كان عن عمد وقصد، لأن فهم المعنى ووضوحه هو أساس إقناع المتلقي واستمالته والعكس صحيح.

فإذا لم يتمكن المتلقي من فهم معاني الخطابة لا يمكن له أن يتجاوب ويتأثر بالموضوع.

لكن لا نعني هنا بالوضوح والسهولة أن كلام الخطيب يرد سوقيا غير مناسب لبناء اللغة العربية وأهدافها، بل المقصود :« **أن يكون سهلا في قوة، وساميا في وضوح وسهولة يفهمه أنصاف المتعلمين ولكنهم يعجزون عن الإتيان بمثله**».[1]

أي أنه لابد أن يكون مخاطبا للسامعين على قدر عقولهم وقدرة استيعابهم، متكيفا مع الظروف التي يعيشونها، وأن لا يبالغ بالتعالي في التعبير الذي يحدث ويترك فراغات عدم الفهم لدى المتلقين، لذا لابد على الخطيب أن يستبعد كل ما يمكن أن يمنع المتلقي من إيصال الفكرة لديه، حتى يحقق الخطيب بذلك مقصده الهادف إليه.

يقول ابن باديس في إحدى خطبه والتي تعرض فيها للحديث عن موقف الجمعية من الجهات التي تعاصرها، موضحا موقف الجمعية من الحكومة :

« **أما موقفنا من الحكومة فهو هو، المطالبة والاحتجاج من ناحية الجمعية، والصد والإعراض من الناحية الأخرى، ولقد كنت في خطاب السنة الماضية علقت رجاء الجمعية على الحكومة الشعبية وحسنت الظن بها وأنا أعلن اليوم – مع الأسف المر – خيبة ذلك**

[1]- أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1976م، ص94

الظن ووهن ذلك الرجاء فحسبنا إيمانا بالله وثقتنا بأنفسنا فذلك – والله – أجدى لنا وأعون بالخير علينا».[1]

« فالخطيب لم يعرب في أسلوبه، بل جنح إلى الوضوح والمباشرة في مخاطبة السامعين، يوضح موقف الجمعية من الحكومة التي أعرضت عن مطالب الأمة وتجاهلها فعبر عن ذلك بكلمات مألوفة درج الناس على استعمالها، وعبارات لم يتسام فيها يغلق على السامعين فهم معانيها، مما أدى إلى وضوح الأسلوب الذي كان السبب الرئيس في رفع الملابسات وكشف الحقائق للناس».[2]

من ذلك يمكن القول أن أسلوب ابن باديس في هاته الخطبة ورد واضحا بعيدًا عن الغموض، فالكلمات السهلة الواضحة التي اعتمدها في بناء أسلوبه تكون أنسب وأبلغ في إيصال الفكرة للمتلقين والتأثير على شعورهم وعواطفهم.

كان هذا عن موقف الجمعية من الحكومة أما عن موقفها إزاء الأحزاب فكان الأسلوب المستخدم في التعبير عن الموقف أعمق وضوحًا وأدق تعبيرًا عن نسبة الجمعية للإسلام يقول في ذلك:

« إن الإسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورقيه وقد دلت تجارب الحياة كثيرًا من علماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام، ومن أحدث ذلك ما قرره مؤتمر القانون الدولي العام في حق الفقه الإسلامي وصلوحيته لأمر الحياة، فالمسلم الفقيه في الإسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة، فليس للجمعية إذن من

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 206/4.

[2]– عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث خصائصها وموضوعاتها، مرجع سابق، ص222.

نسبة إلا الإسلام، وبالإسلام وحده تبقى سائرة في طريق سعادة الجزائر والبلوغ بها – إن شاء الله – إلى أرقى درجات الكمال».[1]

« تخير الخطيب كل ما هو واضح من الكلمات والتراكيب وبناء الأسلوب لإيصال أفكاره إلى المتلقي واضحة لا تحتاج إلى كبير عناء لفهمها أو تفسح مجالات للشك والتأويل وليس بدعا أن يلجأ الخطيب إلى مثل هذا النوع من الإفصاح والوضوح في أسلوبه لأن من مقاصده إفهام الناس وإقناعهم ».[2]

فإذا نظرنا بإمعان في قول الخطيب نلاحظ كمًا كبيرًا من الكلمات السهلة، والعبارات الموحية التي اعتُمِدَتْ في أسلوبه فأضفت مسحة غالبة من الوضوح أدت بالمتلقي إلى الفهم والإقناع.

ومن ذلك نخلص إلى أن ابن باديس كان يعتمد الوضوح والمباشرة في أسلوبه الخطابي حتى يسهل على المتلقين الاستيعاب وترسيخ الفكرة في العقول، فوضوح الأسلوب يكون أجدى وأنفع في عملية الاتصال والتواصل التي كانت الهدف الذي يرمي إليه الخطيب.

وورد أسلوب ابن باديس مزاوجا بين الخبر والإنشاء وقد وظف ابن باديس هذين الأسلوبين لقيمة كل منهما في إبراز المعنى وتوضيحه :

2-2- الأسلوب الإنشائي :

أ- **الأمر** : مثلا في قوله :

(استوح الإسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك)، (اعتمد على الله) فكلمتي : **استوح، اعتمد** هما صيغتي فعل أمر وقد خرج معناه الأصلي إلى **الإرشاد والتوجيه** فنجد

[1]- ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 206/4.

[2]- عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث خصائصها وموضوعاتها، مرجع سابق، ص223.

ابن باديس يدعوا أبناء وطنه ودينه إلى التمسك بالإسلام وبتاريخ وطنه وكذا يرشدهم إلى التوكل على الله وحده والاعتماد عليه.

ب- النداء :

الملاحظ أن معظم خطب ابن باديس تستهل بالنداء كقوله :

أيها الشعب الجزائري، أيها الشعب المسلم، أيها الشعب العربي الأبي، يا أعضاء جمعية العلماء، يا سادة، أيتها الأمة الكريمة، أيها النواب...

وقد استعمل ابن باديس أسلوب النداء في خطابه بغرض إثارة السامع، وتنبيهه إلى ما يريد قوله.

ج- الاستفهام :

الاستفهام هو: « طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته».[1]

ومن أدوات الاستفهام :

من، ما، كيف، كم، أين، متى، ماذا... وغيرها.

مثل قول ابن باديس :

« ... ها هي السنة الثالثة للجمعية قد مضت فماذا عملت الجمعية فيها؟ وأين بلغ أثرها؟ وماذا لقيت فيها الجمعية من الله تعالى ومن الناس؟ نشرت الجمعية صحيفة السنة فصحيفة الصراط فلقيت كلها من الأمة الإقبال والرواج مالم تلقه صحيفة من قبلها ،وما احبها الله حت احبها المؤمنون ...

[1]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2003م، ص78.

وظف الخطيب في هذه الخطبة مجموعة استفهامات واراد من خلالها تبيين حقيقة مهمة وهي الدور البارز والمهم الذي قامت به الجمعية في سبيل الوطن خاصة والأمة الاسلامية عامة ، وكان الغرض بذلك من هاته الاستفهامات هو التقرير و التنويه والاشادة بعمل الجمعية وجهودها في سبيل خدمة رسالتها .

2-3- الأسلوب الخبري :

من خلال دراستنا لخطب ابن باديس الدينية والسياسية وجدنا أنه مزج بين الخبري والإنشائي وهذا أمر يدخل في طبيعة هذا الفن فمن الأساليب الخبرية:

أ- التـوكـد :

وظف ابن باديس التوكيد بكثرة في خطبه منه التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي **مثل قوله** : (تلوح عليهم جميعا سمات الإجلال وآثار الإجلال)، (الحسن في الشرع والجميل في الذوق)، (قد بينت لك الجمعية حقيقة الموقف وكشفت لك شيئا مما تعانيه)، (تدعوك إلى...التنبه والتيقظ)، (الحمد لله الواحد الأحد في ربوبيته وألوهيته، ... والصد والإعراض من الناحية الأخرى).

فالتوكيد هنا توكيد معنوي مثل : (سمات = آثار) (الحسن = الجميل) (بينت = كشفت) (التنبه = التيقظ) وأراد ابن باديس من خلال هذه التوكيدات تقوية المعنى والتأثير في المتلقين ولفت انتباههم وهذا من خلال توظيفه لمرادفات الألفاظ.

ونجد التوكيد أيضا في قول ابن باديس :

(إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلم ما تجتازه الأمة اليوم في طريق نهضتها من وقت حرج)، (إن جمعيتكم جمعية دينية)، (إن فرنسا تعد وتخلف لأنها رأت مصلحتها في

الإخلاف)، (وإن الشؤون الدينية إذا خرجت على الاعتبارات الدينية وتناولتها أيدي التعصب صارت إلى شر المصائب).

الملاحظ على هذه الجمل أنها جاءت مؤكدة بأداة التوكيد "إن" وذلك تأكيد فيه إشارة إلى أن المؤكد أمر مهم يستدعي من المتلقي تأملا وإحالة فكر.

وهذا ما يتضح من خلال قول ابن باديس وذلك لفائدة إزالة الشكوك وتوضيح الأمور وإزالة الغبار عنها، والتوكيد هنا غرضه التنبيه والتحذير فمثلا في قوله :

(إن جمعيتكم جمعية دينية) فهو هنا ينبه أبناء الشعب الجزائري على أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية دينية تسير وفق مبادئ الدين الإسلامي ونهجه.

اما التحذير ففي قوله:

(إن فرنسا تعد وتخلف لأنها رأت مصلحتها في الإخلاف) فهو هنا يحذر الجزائريين من ائتمان فرنسا لأنها إن وعدت أخلفت لذا لابد من عدم الوثوق بها.

ب- الإيجـــاز :

نجد أن ابن باديس يعتمد على الإيجاز في معظم نصوصه :

مثل قوله: (إن الخلاف كله شر)، (إن جمعيتكم جمعية دينية)، (أنا زارع محبة على أساس من العدل ...).

نلاحظ أن ابن باديس وظف الإيجاز الذي يحقق من خلاله الهدف بأقل العبارات وأسهلها حتى يستميل متلقيه بذلك ويتمكن من إقناعهم، وهذا يدل على بلاغة الخطيب وقدرته على إعطاء الألفاظ المناسبة للمعاني

ويظهر الإيجاز ايضا في خطب ابن باديس في قوله:

{...والقران –ياسادة– معلم اخلاقي عظيم ،فقد تضمنت اياته ذكر اصول الخير وماينميها، وذكر أصول الشر وما يدسيها ،ببيان منافع طريقه تلك لتركب، ومضار طرائق هذه لتجتنب }.

تظهر بقوة ملامح الإيجاز في نص خطبة ابن باديس وهذا امر لابد منه، فنجد ان الخطيب يتحدث عن عظمة القران الكريم في تهذيب النفوس وتزكيتها وارشادها لما فيه الخير والصلاح ونهيها عما نهى الله عنه، فهو معلم اخلاقي يهدي البشرية لدينها، وبذلك تضمنت هاته الخطبة عبارات ودلات موجزة حتى تستميل السامعين فتستتير بها اذهانهم .

ج– قصر الفقرات وتـوازنـها :

كقولــه :

(الحمد لله الذي شرفنا بخطابه، وألهمنا حفظ كتابه، وجعلنا من أمة سيد أحبابه)
(الحمد لله الذي جمل الإنسان بالبيان، وجمل البيان بالقرآن، فالإنسان دون بيان حيوان أبكم والبيان دون قرآن كلام أجذم، وذو البيان والقرآن هو الأكمل الأعظم)

جاءت جمل هذه الخطبة متوازنة تتساوى عدد كلماتها وتتماثل أوزان نهاياتها وهذا ما تقتضيه الخطبة للتأثير في السامعين واستمالتهم.

وكختام يمكن القول أن ابن باديس استخدم الأساليب البلاغية في خطبه لغرض فني جمالي خاصة وأن خطبه جاءت بأسلوب جميل ولغة سهلة.

3- الصور البيانية :

البيان هو أحد علوم البلاغة الثلاثة وهو أكثرها وفرًا وحظًا في القرآن الكريم والأدب العربي في نثره وشعره، وهو الذي يمد الأديب بثروة كبيرة من أساليب القول ويرشده إلى مواطن القوة والضعف في النص الأدبي فيعبر بذلك عما في نفسه وكذا يخدم الفكرة التي يحملها.

وجاء توظيف الصور البيانية في خطب ابن باديس لتقريب الفكرة والتأثير في السامع وانعاش قدراته الذهنية من جهة وكذا تذوق جماليتها وروعتها من جهة اخرى، وقد تنوعت الصورة البيانية بين :

3-1- الاستعارة :

« تعد الاستعارة إحدى أهم الفنون البلاغية الخطابية وركنا مهما من أركان التعبير عن المشاعر وما تجيش به النفس من تعابير ومعان يريد الخطيب إيصالها إلى المستمع فهي تعمل على تعميق التصوير، وتدل على براعة الكاتب، لأنها عنصر رئيس لا يستغني عنه الخطيب».[1]

ويرى السكاكي أن الاستعارة هي « أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريه الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثبات المشبه ما يخص المشبه به».[2] **أما أبو هلال العسكري فيرى أنها:**

[1]- محمد أحمد ضاغن الخوالدة، تطور الخطابة في ظل التنافس في العصر الأموي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة فيلاديلفيا، 2015م-2016م، ص89.

[2]- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان، دار الرسالة، بغداد، د ط، 1981، ص599.

« نقل العبارة عن موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالتعليل من اللفظ أو التحسين المعرض الذي يبرز فيه». [1]

« والاستعارة كما نعلم من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، وأبقي على الطرف الآخر، فهي مكنية إذا حذف المشبه به، وهي تصريحية إذا حذف المشبه ». [2]

نخلص بالقول أن الاستعارة هي نوع من أنواع البيان، عبارة عن تشبيه حذف إحدى طرفيه وتُرِكَ الآخر، وفيه ينتقل المعنى المجرد إلى تعبير آخر مجسد، وهي نوعان تصريحية وهي ما حذف فيها المشبه ومكنية ما حذف فيها المشبه به.

ولقد عني ابن باديس بالتصوير الاستعاري البليغ عناية فائقة، برزت في فنون نشره المختلفة منها الخطابة، وقد برع حد البراعة في هذا النوع من البيان لما يمكنه من سحر البيان، فلا يكاد نص من فنونه يخلو من هذا التصوير والذي يسعى من خلاله إلى توضيح وتبيين الرؤية وتوصيل الفكرة للمتلقي وتعميق المعنى فجاء حاملا لجماليته وحسن ذوقه وقوة تعبيره من ذلك قوله:

« ... أما بعد، فقد عدنا – والحمد لله تعالى – إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير، نقتطف أزهارها، ونجتني ثمارها، بيسر من الله – تعالى – وتيسيره على عادتنا من تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول...». [3]

---

[1]– أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر) تحقيق على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الباجي الحلبي وشركائه، القاهرة، د ت، ص167–168.

[2]– لبنى دلندة، الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة1 ، كلية اللغة والادب العربي والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015م–2016م، ص305.

[3]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 162/1.

وظف ابن باديس في نصه هذا الكثير من الاستعارات **مثل : من دروس التفسير نقتطف أزهارها،** فقد شبه هنا ابن باديس دروس التفسير بالحديقة ذات الأزهار والورود فيقطف منها هاته الأزهار فهي استعارة مكنية حذف فيها المشبه به وهو الحديقة أو البستان ذو الأزهار وإبقاء على قرينة دالة وهي الأزهار.

وكذا قوله: **ونجتني ثمارها** هي أيضا استعارة مكنية حيث شبه دروس التفسير بالشجرة المثمرة والتي يجني منها الثمار فحذف المشبه به وهو "الشجرة" وأبقا على ما يدل عليها وهو الثمار. وكذا قوله : **وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها** فهي إذا استعارة مكنية فقد شبه التراكيب بالشيء المادي الذي يحمل مثل المحفظة أو غيرها مما يحمل، فحذف بذلك المشبه به وهو الشيء المحمول وأبقى على ما يدل عليه وهو الحمل.

إن هذا التصوير الاستعاري المتنوع جعل من القرآن وتفسيره كائنا حيًا وماديا يبث الروح الإيمانية في روح المسلم وينير به عقله على سبيل الاستعارة المكنية، فيدفع بالقارئ إلى تخيل هذه الصورة الرائعة التي رسمها ابن باديس للقرآن الكريم، ومعانيه وتراكيبه، فقد رأى أن هذا التصور الاستعاري التشبيهي كفيل بحمل هذه الرؤية الإيمانية المتأصلة في الجذور، وهذا رغبة منه في تعليم المسلم معاني القرآن التي تنير العقل ومن ذلك عمل ابن باديس على عدم تركها كلمات عادية بل نفخ فيها من روحه فإذا هي بقدسيتها وعظمتها تتجلى في شكل كائن حي أو شيء مادي ملموس، لأنه يعلم أن العقل البشري بطبيعته لا يتأثر بالجماد أو الشيء الغير ملموس، بقدر ما يتأثر بالمحسوس الذي يبعث فيه السكينة النفسية، ومن ذلك فقد تمكن ابن باديس من بعث ومضة فكرية خيالية وفية لذهن القارئ أو المتلقي حتى يدرك حقيقة القرآن الكريم وفوائده وعظمته فيقف عند هاته العظمة والقدسية.

وكختام يمكن أن نقول أن ابن باديس أديب فذ ومتمكن بحق ومبدع كبير، فقد أبدع في تحريك المجردات والجمادات وبث فيها الحياة بقوة أدبية تعكس مهارة فنية وتجسد مهارة

التصوير البادیسي فتتلون الصور بما يشبه فيها من معاني تنبعث من روحه الجليلة والمعلقة بين الواقع والخيال.

3-2- التشبيه :

يعد التشبيه من الوسائل الفنية التي وجدت في الأدب العربي منذ القدم ويعرف التشبيه بأنه:

« إلحاق شيء بذي وصف، أن تثبت للمشتبه حكما من أحكام المشبه به، والتشبه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ».[1]

ومن تعريفاته أيضا أنه :« **علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما واشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني ».** [2]

من هذا نستخلص أن التشبيه هو ربط الشيء بشيء آخر، فهو وسيلة لتوضيح الصفة المراد إثباتها للموصوف.

ويعد ابن باديس من أبرز الأدباء الذين استوعبوا قيمة التشبيه في تقريب الرؤية الفكرية للمتلقي، فما كادت تخلوا نصوصه النثرية من التشبيه سواء المباشر أو الغير مباشر خاصة أنه رجل مصلح يهدف إلى إيصال الحقيقة للقارئ بكل الطرق، فبذلك أشاع قلمه ولسانه التصوير بالتشبيه في فنون نثره الأدبي لإيضاح معانيه وإضفاء قوة بلاغية في كتاباته، التي تأثرت تأثيرًا خاصا على المتلقي ونستدل بذلك ببعض الشواهد الخطابية يقول فيها :

[1]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3، د ت، القاهرة، ص114 .

[2]- أحمد مطلوب، فنون البلاغة، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع و التكوين، د ط، 1975م، ص35.

« ... أنا زارع محبة على أساس من العدل، والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ومن أي دين كان (من كل جنس من كل دين) فاعلموا للأخوة ولكن مع كل من يعمل للأخوة فبذلك تكون الأخوة صادقة... ». [1]

يظهر التشبيه في هذا النص الخطابي في قول ابن باديس **أنا زارع محبة على أساس من العدل** فابن باديس شبه نفسه بالمزارع الذي يزرع القمح أو غيره وهذا الزرع الذي ينبت فيما بعد فيكون سنابل خضراء، وكذا ابن باديس فهو يزرع المحبة والود في قلوب بني البشر دونما تفريق في عرق أو دين أو ملة على أساس من العدل والإنصاف والمساواة بينهم فتنمو بذلك الأخوة والإخاء بين البشر فتزهر الحياة وتستنير.

ابن باديس عمد على توظيف هذا التشبيه في نصه حتى يبين ويقرب الرؤية للمتلقي فتضيء له الصورة وتتضح له الفكرة علّه يعمل بها وينطلق منها وهي أن كل بني البشر متساوين لا فرق بين أحد على آخر، وكل هذا يكون على أساس من العدل والإنصاف فتسود معاني الأخوة بينهم.

وفي خطاب آخر له أيضا يعدد فيه أنعم القرآن، وفوائده ومزاياه على الإنسانية يقول فيه :

« ... ليس الإنسان مطبوعًا على الخير فقط، ولا على الشر فقط، ولا صقيلا غير مطبوع على شيء بل هو بجزئه الروحي النوراني خير محض، ولكن باتصال ذلك الجزء الروحي بهذا الجزء الترابي تكونت غرائزه، فكانت منها أصول خير وأصول شر... والقرآن يا سادة معلم أخلاقي عظيم، فقد تضمنت آياته ذكر أصول الخير وما ينميها وذكر أصول الشر وما يميتها وينجيها... ». [2]

---

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 4/214–215.

[2]– المصدر نفسه، 4/48.

فابن باديس شبه القرآن، الكريم بالمعلم الأخلاقي الذي يعلم التلاميذ حسن الأخلاق فيوجههم ويرشدهم إلى كل عمل نافع وصالح وينهاهم عن كل خلق وتصرف ذميم، وكذا هو القرآن فهو بمثابة المصلح المرشد للإنسان، فإذا تتبع الإنسان آياته يجد فيه أصول الخير فتوجهه لفعلها والعمل بها وتبين له أصول الشر وتحثه على تجنبها والابتعاد عنها.

فهذه البنية التشكيلية للصورة التشبيهية في هذا النص توحي بقدرته على توظيف هذه الصورة في أسلوبه الكتابي والتي أراد من خلالها توعية بني البشر ودفعهم لما فيه من خير وتجنبهم لما فيه من شر وذلك عن طريق الاقتداء بالقرآن الكريم وآياته فلا يضل من اتبعه وسار على دربه.

ويظهر أيضا التشبيه البليغ في خطبة تحدث فيها عن سيد الخلق محمد – صل الله عليه وسلم – ذاكرًا لصفاته وخصاله ورسالته العظيمة التي جاء بها للبشرية يقول فيها :

« ... وأرسل إلينا محمد – صلى الله عليه وسلم – شاهدًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا وأنزل عليه القرآن آية بينة، وحجة باقية، وهداية شاملة وعلمه ما لم يعلم وكان فضله عليه عظيما.

وأيده بروح منه حتى أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وأقام الحجة وأوضح المحجة وأبقى لنا من بعده كتاب الله وسنته هداية للمهتدين وتذكرة للذاكرين وتبصرة للناظرين».[1]

لقد تجسد في هذا النص نوع مهم من أنواع التشبيه وهو الذي أطلق عليه البلاغيون اسم التشبيه البليغ وهو الذي تحذف فيه الأداة (أداة التشبيه) ووجه الشبه فيظهر بذلك المشبه متحدًا بالمشبه به كأنهما شيء واحد، وهي بذلك الصورة التي رسمها ابن باديس لنبينا الكريم حيث شبهه بالسراج المنير دون أداة أو وجه شبه فكل هذه العناصر اتحدت لتؤلف في

[1]– ابن باديس، آثاره ، مصدر سابق، 150/1.

اتحادها هذا التصوير الفني البديع الزاخر الذي يكشف عن أبعاد وإيحاءات ضخمة لهذا الإنسان العظيم محمد – صل الله عليه وسلم – الذي تساوى مع السراج المنير في صفة التنوير والهداية وإشعاع ووضوح، كل هذه أجزاء للمودة العامة والكلية التي عكست روعة المبالغة في التشبيه وصورة سحر البلاغة على لسان ابن باديس.

وكختام يمكن لنا القول أن ابن باديس أجاد حد البراعة في توظيف هذا النوع من البيان خدمة لأفكاره النيرة، وآرائه الصائبة، فكل هذه الأشياء تلتقي في نقطة واحدة، وهي تصوير التجربة بأبعادها الفنية والموضوعية، وتلتقي في هدف واحد وهو إحداث انفعال نفسي للمتلقي.

4- المحسنات البديعية :

من خصائص أسلوب البلاغة عند ابن باديس أنه يتميز بجرس موسيقي رنان، كي يكون خفيفا على اللسان، حسن الوقع في الأذن، وذلك بانسجام حروفه ونعومة جرسها الموسيقي، وتوافق الكلمات وتناسب الفقرات وإيقاعها.

4-1- السجع :

« هو توافق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير وهو في النثر كالقافية في الشعر وقد عرف السجع عند العرب بمصطلحه، فقد جاء عن الرسول – صل الله عليه وسلم – النهي عن سجع الكهان إبعادا عن التشبه بهم وهو غير السجع الذي كان يعمر كلام العرب الذي فيه سلامة الطبع وقوة السليقة ووضوح الفطرة والذي كان شائعا في الخطب والوصايا والحكم ».[1]

[1]– عاطف فضل مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص298.

« السجع هو توافق الفاصلتين في النثر على حرف واحد، والسجع فن بلاغي قديم فقد ورد في كلام العرب في الجاهلية وكان حضوره واضحا في القرآن الكريم وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم – لقوله: اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلفا ». [1]

من خلال هذين التعريفين نخلص إلى القول أن السجع هو توافق الحروف الأخيرة من مواضع الوقف في النثر مما يكسب الكلام حسنا وجمالا ويمنحه الفصاحة والبيان وحلاوة الإيقاع وعذوبة الموسيقى حيث تستأنس له الأذن، وجمال هذا المحسن اللفظي يكمن في ابتعاده عن التكلف والتصنع، وهذا ما نجده في خطب ابن باديس التي كانت تحظى بجمال الموسيقى مما يضفي عليها طابعا جماليا وفنيا خاصا يقول في إحدى خطبه :

« أما بعد، فسلام عليكم يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين وسلام على مساجينكم في المساجين، وسلام على متهميكم في المتهمين، وسلام على منكوبيكم في المنكوبين، سجون واتهامات ونكبات، ثلاث لا تبني الحياة إلا عليها، ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الحقة إلا على أسسها، فاليوم وقد قضى الله للجمعية بهذه الثلاث – أثبتت للجمعية في تاريخ الإسلام وجودها، وسجلت في صفحات الخلود رسمها، ونقشت في قلوب أبناء المستقبل اسمها، وبرزت في ذلك كله أسماء أولائك المسجونين والمتهمين والمنكوبين نجومًا متألقة تأخذ بالأبصار». [2]

نلاحظ من خلال قول الخطيب أن اعتماده السجع هنا جاء عفوا لا بروز فيه للتكلف والتصنع، وهو ما زاد وأضفى لكلامه حسنا وبهاء، ويظهر ذلك جليا من خلال توافق الكلمات وتلاءم العبارات وتنوع جرسها الموسيقي بين **النون، والهاء في (المساجين**

[1]– عيسى بالطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتب الجديد، ط2، 2002م، ص47.

[2]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 4/208–209.

المتهمين، المنكوبين، عليها، أسسها، وجودها، رسمها، اسمها) فهذا إن دل على شيء دل على مدى اعتناء الخطيب بجمال أسلوبه قصد استجلاب المتلقي واستيعابه.

ويظهر أيضا الأثر الموسيقي في خطبة أخرى للشيخ يقول فيها :

« الحمد لله الذي شرفنا بخطابه، وألهمنا حفظ كتابه، وجعلنا من أمة سيد أحبابه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختاره الله – تعالى – من صميم العنصر العربي ولبابه وحلّاه بأسمى معارف النوع البشري وأكمل آدابه، وأرسله رحمة للعالمين ليكشف عن الدين ما كشف من حجابه ويهدي من سبقت له العناية الربانية إلى أعتابه، فأدى الرسالة وبلغ الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى رجع الحق نصابه، وعلى الغر الميامين من آله، والشم الغضاريف من أصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان على مرّ الزمان وتوالي أحقابه».[1]

تخير ابن باديس لكلامه أسلوبا موسيقيا جميل الوقع على الأذن، فورد أغلبه مسجوعا كما لاحظناه مما ساهم في خلق جرس موسيقي عام، فربما كان هذا قصدا من الخطيب في بداية خطبته بغرض لفت انتباه السامع، إلا أن ذلك لم يكن فيه تنافر أو بعد، بل العكس من ذلك فقد غلبت عليه نغمة موسيقية عذبة لها تأثير على النفس، وهذا من دواعي الخطابة وغايتها، لأن ذلك يؤنس القلوب، ويغذي العقول ويبث في النفس الرغبة في الاستزادة والسير على سنة نبينا الكريم وإتباعه.

وبهذا نخلص القول ان استعمال لهذا المحسن البديعي الخطيب البديعي لم يكن هباءًا وإنما أراد من خلاله إيصال أفكار للمتلقي في قالب فني جميل فتستسيغ به أذن السامع.

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 150/1.

4-2- الجنـاس :

« هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يسميان "**ركني الجناس**" وهو الجناس التام أما الجناس الناقص فهو ما اختلفت لفظتاه في ترتيب الحروف أو عددها أو جنس الحروف أو حركتها». [1]

ومنه يمكن القول أن الجناس نوعان تام وناقص، أما التام فهو ما تشابهت فيه لفظتين في النطق واختلفتا في المعنى، أما الناقص فهو ما اختلفت فيه حروف الكلمتين أو عددها أو حركتها.

وللجناس إيقاع وأثر صوتي جميل بسبب تكرار الحروف، فهو يعمل على تنشيط وطرد الملل ولفت الأسماع، ويسهم إسهاما كبيرا في إيضاح المعنى فهو بذلك وجه من وجوه تحسين الكلام وذلك إذا استعمل في موضعه المناسب من غير تكلف ولا تصنع فهو يمنح الكلام رونقا وجمالا، وهذا ما تجلى في خطب ابن باديس ومنه قوله :

« الحمد لله الواحد الأحد في ربوبيته وألهيته مبتدأ الخلق برحمته الداعي إليه بنعمته وحجته، شرع الشرائع بالحكمة والعدل لسعادة الإنسان، وأدعها أسرارًا وفوائد يعظم منها النفع ويزداد منها الإيمان.

وأرسل إلينا محمدًا – صل الله عليه وسلم – شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا وأنزل عليه القرآن آية بينة، وحجته باقية، وهداية شاملة وعلمه ما لم يعلم وكان فضله عليه عظيمًا.

[1]– عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1985م، ص195.

وأيده بروح منه حتى أدى الرسالة، وبلغ الأمانة وأقام الحجة، وأوضح المحجة وأبقى لنا من بعده كتاب الله وسنته هداية للمهتدين وتذكيرًا للذاكرين، وتبصرة للناظرين».[1]

لقد وشح ابن باديس سياقه بمختلف أنواع الجناس التي تطرب لها النفس فيحسن وقعها في الذهن **فربوبيته وألهيته، وبنعمته وحجته، الإنسان والإيمان** فهاته كلها كلمات أحدثت وقعا في السياق لما فيها من تجانس الحروف ، فإذا تمعنا في أماكنها في السياق نلحظ أن كلا منها ورد في مكانه المناسب فنلمس بذلك عفوية ابن باديس في توظيف هذه الأسجاع التي أجلت المعنى وزادت في تلوين الصورة وبهاءها وهو ما يخلق جوا موسيقيا رنانا في النص حتى لا يشعر القارئ بالنفور والملل عند قراءتها أو المتلقي حين سماعها بل يشعر بحلاوة انسيابها الطبيعي في ثنايا النص باثًا معه شوقا حفيفا في تتبع المزيد من أثر هذا الوقع المسجوع.

وتبرز أيضا هذه الصورة الفنية بشكل مميز في خطبة أخرى للشيخ وفي نفس الموضوع وهو افتتاح دروس التفسير يقول فيها :

« الحمد لله الذي جمّل الإنسان بالبيان، وجمل البيان بالقرآن، فالإنسان دون بيان حيوان أبكم، والبيان دون قرآن كلام أجذم، وذو البيان والقرآن هو الأكمل الأعظم، قدرًا وتقديرًا، والأحسن والأقوم، عملا وتفكيرًا، والأسعد والأكرم، حالا ومصيرًا.

أحمده أرسل محمدًا – صل الله عليه وسلم – بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنزل عليه القرآن تبصرة وذكرى، ومعجزة كبرى، حجة وتذكيرًا، وشرع لنا من دينه الحنيف، مناهل العز والسعادة، ومهد لنا من شرعه الشريف سبل الحسنى والزيادة، رحمة منه – تعالى – وفضلا كبيرا ». [2]

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 150/1.

[2]– المصدر نفسه، 161/1.

وظف ابن باديس في نصه هذا الجناس بكثرة مثل : **الإنسان والبيان، أجذم وأعظم قدرًا وتقديرًا، تفكيرًا ومصيرًا...** وذلك لأهميته في تحقيق التوازن للنص الخطابي وإعطائه قيمة جمالية إضافة إلى القيمة الفنية، وهذا منح فعالية قوية على المستويين الصوتي والموسيقي كما أعطى النص سهولة في النطق والحفظ والفهم ويجلب السامع لذلك.

وختاما يمكن القول أن استعمال الجناس في سياقات ابن باديس لم يكن هدفا في حد ذاته لتزيين الكلام وترصيعه بقد ما كان أداة ووسيلة يرجو من خلالها تنوير فكره وهو يعكس بقوة جودة وفعالية اللغة لديه.

4-3- الطباق :

الطباق « لون من ألوان البديع المعنوية، وهو الجمع في العبارة الواحدة بين الشيء وضده أو الجمع بين معنيين متضادين».[1]

وعرفه أبو هلال العسكري: « بأنه الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ». [2]

ومن هذا نستخلص أن الطباق هو عبارة عن محسن بديعي ، وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة.

وقد شكل التضاد في خطب ابن باديس ظاهرة مميزة، فالنص يتحول من السكون إلى الحركة وساعد على ضبط جو الخطبة وبلوغ البناء الفني المحكم وهذا ما تقتضيه الخطبة لتحرك ما في النفوس، وتحملها على فعل الشيء واعتقاده أو التخلي عنه وبالتالي فإن هذه

[1]- شكري أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، 43/3.

[2]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، دار الفكر للنشر والتوزيع، د ط، 1988م، ص 266 .

البنية تعد عنصرًا من العناصر التي تهدف إلى الإقناع العام في الخطابة وأيضا لتأكيد المعنى ومن ذلك قول "ابن باديس":

« ... أيها الإخوان إن جمعيتكم جامعة للناس فيما تفرقوا فيه من دين الله وهادية لهم فيما ضلوا من سبيله وقد عرف الناس حقيقتها ولكن نجا أقوام وهلك آخرون... وإنما قام يحمل أمانتها إخوانكم أعضاء مجلس الإدارة فقاموا بواجب أشهد بثقله وأشهد بأنهم قاموا به خير قيام وأنهم لا يرجون من الأمة إلا أن تعرف ما يدعون إليه عن بصيرة فتتبعه عن بصيرة إنما يدعونها إلى واضح لا إلى مشتبه، وإلى حق لا إلى باطل وإلى هدى لا إلى ضلال ». [1]

نلحظ في نص هذه الخطبة الكثير من الطباقات مثل: **جامعة ≠ تفرقوا، هادية≠ظلوا نجا ≠ هلك ، واضح ≠ مشتبه ، حق ≠ باطل ، هدي ≠ ضلال.** فكل هذا الطبقات تنم عن ذوق رفيع وحسٍ مرهف وجودة عالية في التعبير نابعة عن أديب ومفكر كبير، فكل هاته الطباقات تصور بحق الدور الفاعل للجمعية في تهذيب الناس وتوعيتهم وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح للنفس والوطن ويعكس قيمتها في إنارة العقول، فالسامع أو القارئ لهذا النص يشعر بالذات من ضرورة هذه الموازنات بين ما يحمله الحق من حقيقة والباطل من بطلان والهداية من هدي، فيخرج القارئ من هذا الزمن بفكر مثقل، لأن الجمع بين كل ما ورد من طباق في النص يرسم الصورة الكبيرة للجمعية وقيمتها، وبهذا ندرك قيمة هذا المحسن اللفظي في تنوير الفكرة وإجلاء المعنى.

وكختام يمكن القول أن ابن باديس يهدف من خلال توظيفه لهذا اللون من ألوان البديع إلى الإفادة من بلاغة هذا المحسن الذي يليق بالموقف المستهدف والمبتغى، إضافة

[1]– ابن باديس، آثاره، مصدر سابق، 524/3 .

إلى الجو الموسيقي الذي يخلقه هذا الطباق في النص والذي بدوره يساعد على استيعاب الفكرة وتنويرها وإبرازها خاصة إذا كانت محمولة بشحنات عاطفية.

خاتمة

خـــــاتمة :

ليس من حق المرء أن يدعي في مجال الدراسات الإنسانية، أن ما ذهب إليه من قول هو الحق وما عداه فهو باطل، وإلا فمن المحال أن تتطور تلك الدراسات وتتنوع إلى حقول مختلفة وكثيرة متباينة تباين المتبعة عند كل دراسة، والدراسات الأدبية في ذلك سواء، فهي تختلف نتائجها اختلاف مناهج الدراسة المتبعة لدى كل باحث.

وتبعا لذلك لقد حاول هذا البحث أن يقرأ الخطابة في النثر الجزائري الحديث عند إمام من أئمة الخطبة الجزائرية "عبد الحميد ابن باديس" قراءة عساها أن تضيف جديدًا لما تم من دراسات سابقة لهذا اللون من الفن النثري، في انتظار قراءات أخرى يمكن أن تضيف جديدًا تبنى عليه أعمال أخرى.

والنتائج التي توصل إليها البحث في هذه الدراسة ليست نهائية إذ مثل هذا الظن يعد تعطيلا لقدرات من سيأتي من الدارسين والباحثين.

ومن النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث نجملها فيما يلي :

- الخطابة فن من فنون القول تعمل على التأثير في السامعين واستمالتهم وبالتالي تعد وسيلة من وسائل الاتصال بين الخطيب والجمهور واستمراريتها فيما بعد.
- الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ارتبطت بقضايا المجتمع والوطن فعالجت بذلك موضوعات اجتماعية، دينية، سياسية...
- ارتباط الخطابة عند ابن باديس بمبدأ الإصلاح والنهضة العربية والوطنية والهوية القومية.
- وقد قرأ البحث خصائص الخطابة عند عبد الحميد ابن باديس قراءة فنية انتهى إلى أن الالتزام والواقعية وكذا النزعة الدينية سمة بارزة في النص الخطابي لدى ابن باديس.

- اللغة المستعملة في خطب ابن باديس يغلب على ألفاظها السهولة والمباشرة إذ كان همه الوقوف على المقاصد مباشرة لذا تعامل مع اللغة تعاملا مباشرا.

- كما سجل البحث التقريرية والوصفية في لغته الأمر الذي يدفع إلى القول أنها تسجيل لأحداث تاريخية تعكس ما كان عليه الوضع آنذاك.

- الملاحظ أيضا على لغة الخطابة عند عبد الحميد ابن باديس أنها اعتمدت مصطلحات دينية فأشرقت معانيها واستنارت بالقرآن الكريم.

- اعتماد الخطيب – ابن باديس – على إثارة العاطفة وإيقاظ الوجدان وذلك باستخدام الصور البيانية والمحسنات البديعية لغرض جلاء المعاني والوصول إلى المزيد من التأثير.

ومن هذا العرض لنتائج هذا البحث يمكن القول أن الخطابة عند ابن باديس قد تبوأت مكانة رفيعة وذلك ما تفردت به من خصائص لا نجدها في غيرها من الفنون الأدبية الأخرى.

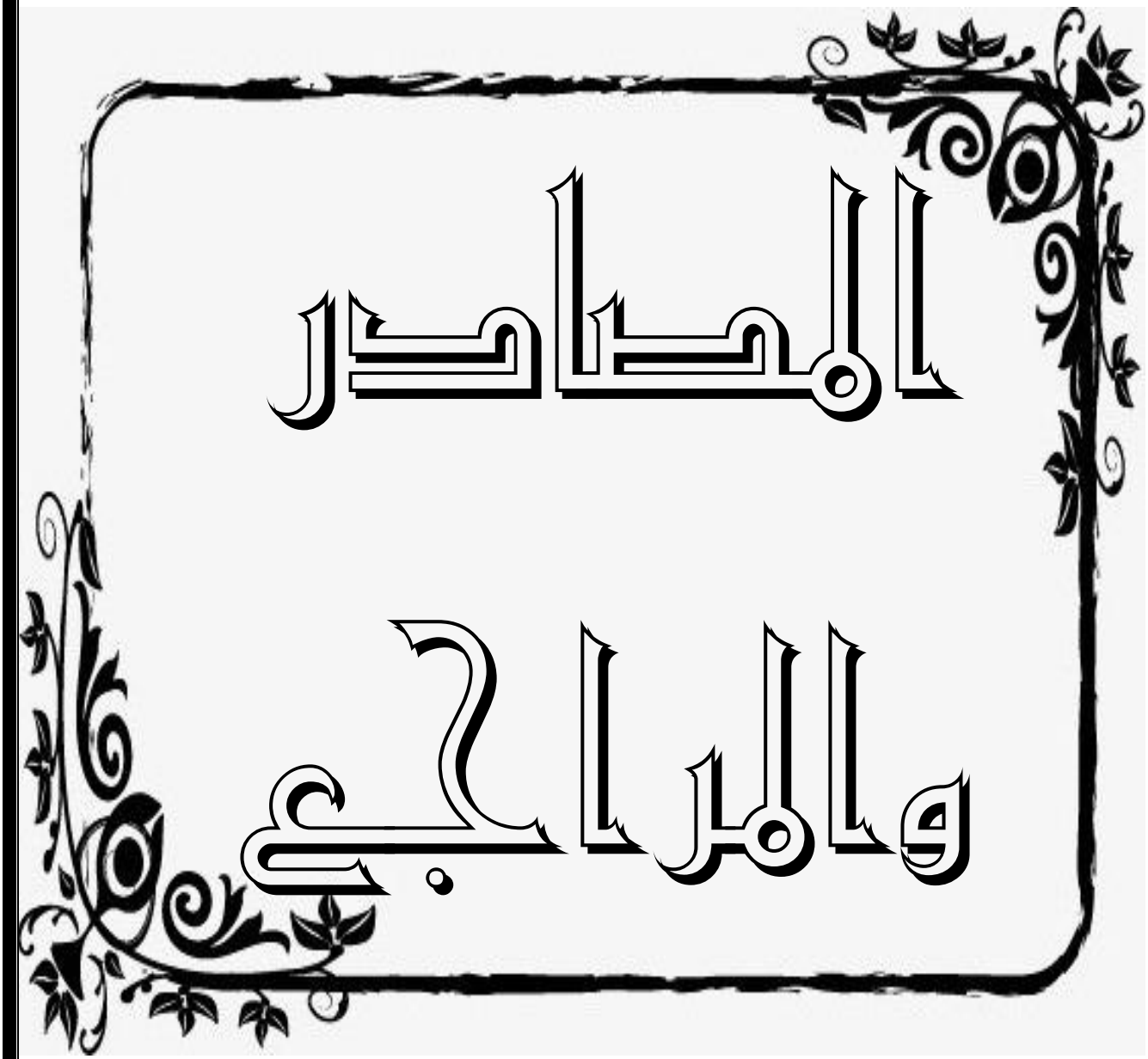
المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.
- ابن باديس، آثاره.

المعاجم :

1- إبراهيم مصطفى وآخرون، الوسيط، دار الدعوة، ج1، د ط، دت.
2- جبران مسعود، رائد الطلاب المصور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 2008م.
3- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.
4- الفراهيدي، العين، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، ط1، 2003.
5- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، دار القلم، بيروت، دط، 1974.
6- ابن منظور لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، م3، د ط، 2003م.

القواميس :

7- إبراهيم فلاتي، الهدى، دار الهدى، عين مليلة، طبعة حديثة، 2004.
8- بسام عبد الله، قاموس نوبل، دار الكتاب الحديث، دط، 2011.

المصادر :

9- الإبراهيمي، آثاره، ج3- دار العرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.
10- ارسطو طاليس، الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار العلم، بيروت، دط، 1985.
11- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركستي، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، ط3، دت.
12- الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، دط، دت.
13- ابن جني، الخصائص، تحق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ط2، دت.
14- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، دط،2000.
15- محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، الحق: ياسر حامد المطيري، دار المناهج، الرياض، السعودية، ط1، 1433هـ.
16- هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، مطبعة عيسى الباجي الحلبي، القاهرة، دط، دت.
17- ابو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الرسالة، بغداد، دط، 1981.

المراجع :

18- أحمد أحمد غلوش، قواعد علم الخطابة بمؤسسة الرسالة، جامعة الأزهر، ط2، 2007.

19- أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية حول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1976.

20- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، دار الفكر للنشر والتوزيع، د ط، 1988م

21- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة، مصر، دط، 2002.

22- أحمد مطلوب، فنون البلاغة، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، دط، 1975.

23- اسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة، القاهرة، ط5، دت.

24- إيليا حاوي، فن الخطابة عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1997.

25- حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي، ج2، ط4، 2007.

26- حميد آدم تويبي، منهج النقد عند العرب، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.

27- ديل كارينجي، فن الخطابة، ط1، 2001.

28- سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني، حياته، تراثه، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1983.

29- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2003.

30- شكري أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، بيروت، لبنان، ط2، 1999م

31- طارق محمد السويدان، فن الإلقاء الرائع، ط3، 2004.

32- طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر ط2، 1968.

33- عاطف فضل، مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2006.

34- عبد الجليل عبدة شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986.

35- عبد الجليل عشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

36- عبد الرحمن أرشد، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، دط، 2006.
37- عبد الرحمن بن ابراهيم العقون، المكافح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، الجزائر، دط، 1984.
38- عبد الرحمن بوكيلي، الأساس في الدعوة والخطابة، الرباط، ط1، 2006.
39- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1985.
40- عبد القادر عبد الرؤوف، أضواء على الخطابة الإسلامية، دار الكتب، القاهرة، ط1، 2005.
41- عبد المحسن عبد الله الخرافي، لطائف الأدب في اشهلال الخطب، الوعي الإسلامي، الكويت، ط1، 2012.
42- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره، دار الفكر العربي، ط3، دت.
43- على محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، دط، دت.
44- عماد سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، عرض وتوثيق وتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2009.
45- عيسى بالطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، ط2، 2002.
46- فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح والنهضةفي تاريخ الجزائر الحديثة، دط، دت.
47- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.
48- مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار العلم، دمشق، ط2، 1999.
49- محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط1، 1934.
50- محمد العمري، في البلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002.
51- محمد المصري، مجد البرازي، اللغة العربية دراسات تطبيقية، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
52- محمد بن سمينة الفنون النثرية عند عبد الحميد ابن باديس، دط، دت.

53- محمد تقي فلسفي، البيان وفن الخطابة، ترعباس حسين الأسدي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط2، 2006.
54- محمد عبد المطلب مصطفى، اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع هـ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
55- محمد عبد المنعم خفاجي الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990.
56- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الشعب، القاهرة، دط، دت.
57- محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1997.
58- محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، دت.
59- محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير، عمان، ط1، 2011.
60- محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ط1، 1997.
61- مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد ابن باديس، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، ط1، 2006.
62- مميز أبو حمدان، الإبلاغية في اللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1991.
63- نزار أبو منشار فن الخطابة ومهارات تطوير الأداء الخطابي، دط، دت.
64- نقولا فياض، الخطابة، دط، دت، ص21.
65- يسري عبد الغني عبد الله، النثر في عصر صدر الإسلام، ط1، 2017.
66- يسري محمد هاني، ارشاد اللبيب إلى فن الخطابة والخطيب، دط، دت.

الرسائل :

67- عبد الله جابر المري، الخطابة عند فاروق (دراسة أسلوبية) رسالة ماجستير مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأدب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، 2011، 2012.
68- عيسى بن ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة والأدب العربي، 2004، 2005.
69- لبنى دلندة، الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي.

70- لعور كمال، الصراع الفكري في النثر الجزائري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة السانيا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2014، 2015.

71- محمد أحمد ضاغن الخوالدة، تطور الخطابة في ظل التنافس في العصر الأموي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة فيلاديلفيا، 2015، 2016.

المجلات:

72- حسين عبد العالي المهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية، جامعة الكوفة، مجلد 7، ع3-4.

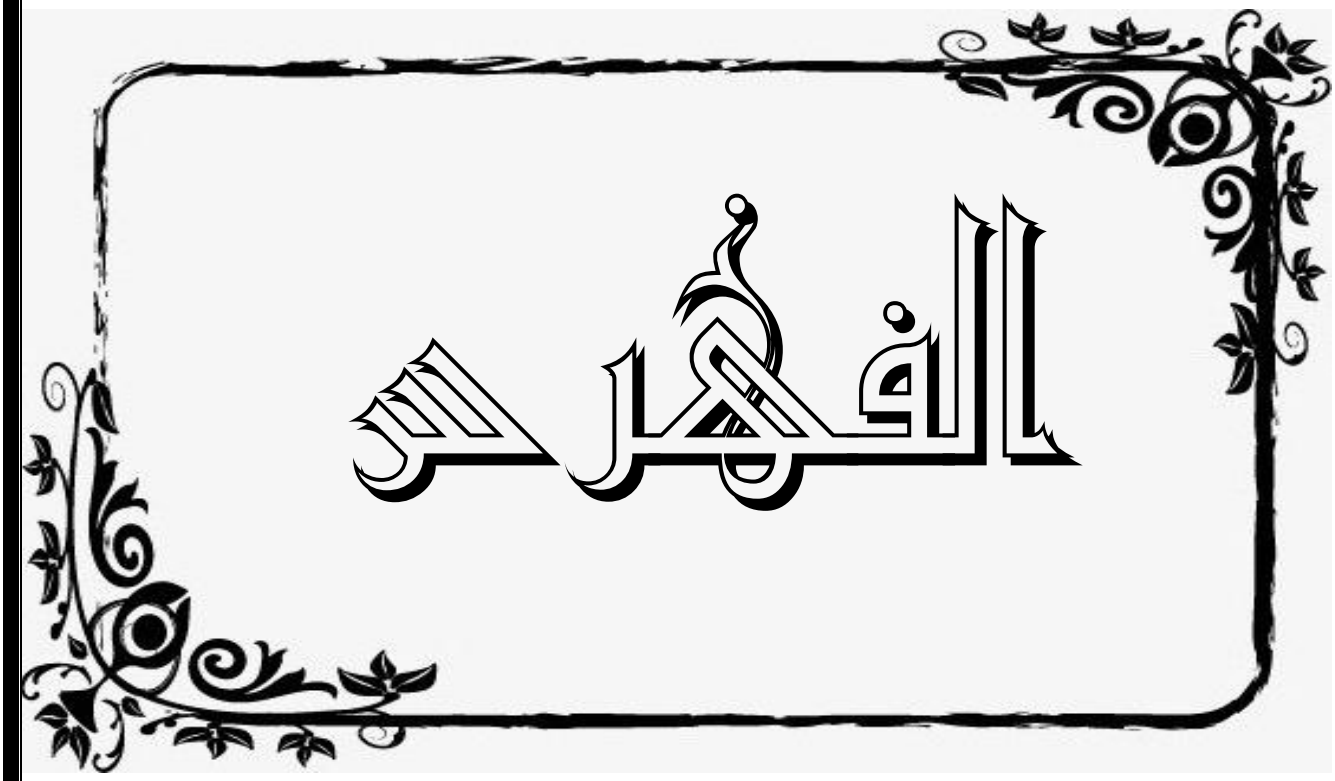
الفهرس

فهرس

الصفحة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... أ- د

المدخل

تمهيد **2**

1-مفهوم الخطابة **2**

أ- لغة **2**

ب- اصطلاحا **4**

2- نشأة الخطابة العربية وتطورها **5**

3- ابن باديس وحياته **14**

الفصل الأول: الخطابة

1- الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين **19**

2- الخطابة عند ابن باديس..... **21**

3- أنواع الخطابة..... **23**

المبحث الثاني

1- أركان الخطابة **30**

1-1- الخطيب **30**

1-2- الخطبة **32**

1-3- المخاطب (المتلقي) **32**

2- عناصر الخطبة **32**

2-1- المقدمة **32**

2-2- العرض (المضمون) 33
2-3- الخاتمة 34
3- أهمية الخطابة والغاية منها 35
4- خصائص الخطبة 35
الفصل الثاني
خصائص الخطب الدينية والسياسية عند ابن باديس
تمهيد 38
المبحث الأول
1- الالتزام 39
2- الواقعية 42
3- النزعة الدينية 46
المبحث الثاني
البناء اللغوي 52
1- اللغة 52
1-1- السهولة والمباشرة 53
1-2- التقريرية الوصفية 55
1-3- المصطلحات الدينية 59
1-4- التراكيب 63
1-5- الحقول الدلالية 64
2- الأسلوب 66
2-1- الوضوح 68
2-2- الأسلوب الانشائي 70
2-3- الأسلوب الخبري 72
3- الصور البيانية 75
4- المحسنات البديعية 81

خاتمة 90
قائمة المصادر والمراجع 93
فهرس
ملخص

ملخص :

تتميز الخطابة عمّا سواها من الفنون الأدبية النثرية ذات الصبغة الشفاهية، إذ أنها تعتبر من أهم وسائل التبليغ والتوجيه والتأثير، وهذا ما حاولنا إظهاره من خلال دراستنا لخطب "ابن باديس" الدينية والسياسية"، إذ هما محور بحثنا ودراستنا والموسومة بـ : فن الخطابة عند ابن باديس الخطب الدينية والسياسية – أنموذجا – خصائصها وسماتها الفنية. عرضنا فيه مفهوم الخطابة ونشأتها العربية وتطورها، ابن باديس وحياته، الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الخطابة عند ابن باديس، أنواعها، أركانها، عناصرها، أهميتها، ثم دراسة خطب ابن باديس وخصائصها وسماتها الفنية.

Résumé:

C’est l’un des moyens les plus importants de rendre compte, de diriger et d’influencer, c’est ce que nous avons essayé de démontrer à travers notre étude des discours religieux et politiques d’Ibn Badis, qui sont au cœur de nos recherches et de nos études et qui se caractérisent par: Le discours pédagogique d'Ibn Abadis, ses types, éléments, éléments, importance, et l'étude des discours d'Ibn Badis, ses caractéristiques et caractéristiques. Technique .